الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية

العمادة

الدور الجيوبوليتكي التركي في آسيا الوسطى وشرق المتوسط

رسالة أعدت لنيل شهادة الماستر البحثي في العلوم السياسية والإدارية

إختصاص العلاقات الدولية والدبلوماسية

إعداد

مروة عاطف شاهين

لجنة المناقشة

الدكتور علي محمود شكر	الأستاذ المشرف	رئيساً
الدكتور جوزاف نعمة الله عيسى	أستاذ مساعد	قارئاً
الدكتور وسام عدنان إسماعيل	أستاذ مساعد	عضواً

2026-2025

الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية

العمادة

الدور الجيوبوليتكي التركي في آسيا الوسطى وشرق المتوسط

رسالة أعدت لنيل شهادة الماستر البحثي في العلوم السياسية

إختصاص العلوم السياسية والإدارية

إعداد

مروة عاطف شاهين

لجنة المناقشة

الدكتور علي محمود شكر	الأستاذ المشرف	رئيساً
الدكتور جوزاف نعمة الله عيسى	أستاذ مساعد	قارئاً
الدكتور وسام عدنان إسماعيل	أستاذ مساعد	عضواً

2026-2025

الجامعة اللبنانية غير مسؤولة عن الآراء الواردة في هذه الرسالة وهي تعبّر عن رأي صاحبها فقط

الإهداء

إلى الجامعة اللبنانية..جامعة الوطن والمواطن

إلى عائلتي وأحبائي

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله، وما بنا من نعمةٍ فمنه..

يشرفني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى:

- الأستاذ المشرف الدكتور علي شكر على ملاحاظاته وتوجيهاته القيّمة طوال فترة إعداد هذه الرسالة.
- إلى أساتذة الجامعة اللبنانية وكافة كوادرها لجهودهم المستمرة رغم الصعاب للإبقاء على الجامعة اللبنانية صرحاً أكاديمياً حاضناً لجميع أبناء الوطن.
- إلى أبي وأمي وعائلتي.

الملخّص:

ناقشت هذه الرسالة المفهوم النظري للجيوبوليتيك وجمعت بين الركائز الرئيسية للتعريفات التي تناولت هذا المصطلح، لِتصلَ إلى تعريفٍ موحدٍ يمكن اختصاره على أنه علم هندسة السياسية الخارجية والداخلية للدول من خلال مواءمة إمكانياتها وأهدافها مع المعطيات الجغرافية التي تتعامل في إطارها مع إقليمها ومحيطها الجغرافي. كما أدّى تفنيد الإطار العلمي للنظريات الجيوبوليتيكية إلى استخلاص نتيجة مفادها أنّ المعطيات المعاصرة من جهة تطور أساليب الحروب وتقنيات التسلّح، قد جعلت الجمع بين القوة الصلبة كالقوة البرية والبحرية والجوية، ودمجها مع أساليب القوة الناعمة، أمراً حيوياً لا غنى عنه لبناء خطط جيوبوليتيكة فعّالة.

وإسقاطاً لهذه النظريات على الحالة التركية، تفترض هذه الرسالة أنّه في إطار سعيها لتعزيز مكانتها العالمية وتوسيع نفوذها الإقليمي، ولأسبابٍ تتعلق بالطموحات والإمكانيات التي تمتلكها في الوقت الحالي من جهة، ولأسبابٍ تاريخية وعرقية وثقافية ودينية من جهة أخرى، فإنّ تركيا، تعتبر أن إقليمي شرق المتوسط ووسط آسيا يشكّلان المنطقة الحيوية التي يجب أن تتوجه إليها التحركات الجيوبوليتيكية التركية. لا سيما لكون هذه المناطق تجمع بين عامل القيمة الجيوبوليتيكية العالية بسبب موقعها الإستراتيجي وغناها بالموارد والثروات، وبين عامل ملاءمة الواقع الجيوبوليتيكي لهذه المناطق مع الإمكانيات والأدوات التي تمتلكها تركيا في الوقت الحالي.

كما تتناول هذه الرسالة التطبيق العملي للرؤية الجيوبوليتكية التركية عبر توظيف تركيا كل ما يتوفر لديها من إمكانيات للتحرك بشكل فعّال في هذه الأقاليم، سواء عبر القوة الناعمة كما في حالة آسيا الوسطى، أو عبر القوة الصلبة كما في شمال سوريا والعراق. حيث اتّسمت التحركات التركية تجاه هذه الأقاليم بمحاولة الإستفادة من حالات الفراغ والتجاذب الجيوسياسي الناتجة عن تنافس القوى الفاعلة في هذه الأقاليم، بالإضافة إلى الإستفادة أحياناً من موقعها كعضو في شمال الأطلسي، فضلا عن اعتبارها خصما ذا خطورة منخفضة من جانب العديد من الفواعل الدولية. وهذا لا يعني أن الطريق ممهد أمام تركيا لتوسيع نفوذها الإقليمي، لا سيما أنّ العديد من السياسات الخارجية التركية تنطلق من اعتباراتٍ مرتكزة على قصور الثقة ببعض شركائها الدوليين، فضلاً عن هشاشة التحالف التركي الغربي تحت مظلة حلف شمال الأطلسي، وما نتج عن ذلك من اعتبارات تركية بضرورة البحث عن بدائل لتأمين المصالح القومية التركية بعيدا عن الشراكات والتحالفات سالفة الذكر.

Abstrait:

Cette étude examine le concept théorique de la géopolitique en rassemblant les éléments centraux des diverses définitions du terme, pour aboutir à une définition unifiée. Celle-ci peut se résumer comme étant l'art de structurer la politique étrangère et intérieure des États en adaptant leurs capacités et leurs objectifs aux contraintes géographiques dans le cadre desquelles ils interagissent avec leur territoire et leur environnement régional. L'analyse du cadre scientifique des théories géopolitiques mène à la conclusion que l'évolution contemporaine des méthodes de guerre et des technologies militaires a rendu indispensable l'intégration de la puissance dure – terrestre, maritime ou aérienne – avec les outils de la puissance douce, afin de concevoir des stratégies géopolitiques efficaces.

En appliquant ces théories au cas de la Turquie, cette étude suppose qu'en cherchant à renforcer sa position mondiale et à étendre son influence régionale, la Turquie considère, pour des raisons liées à ses ambitions et à ses capacités actuelles, ainsi qu'à des facteurs historiques, ethniques, culturels et religieux, que les régions de la Méditerranée orientale et de l'Asie centrale constituent des cibles géopolitiques privilégiées. Ces régions allient une valeur géopolitique élevée due à leur position stratégique et à leur richesse en ressources naturelles, et un contexte géopolitique compatible avec les capacités et les outils actuellement disponibles pour la Turquie.

Par ailleurs, cette étude examine la mise en œuvre concrète de la vision géopolitique turque, laquelle consiste à mobiliser toutes les ressources disponibles pour agir efficacement dans ces régions. La Turquie utilise ainsi la puissance douce en Asie centrale et la puissance dure dans le nord de la Syrie et de l'Irak. Les actions turques dans ces régions visent à tirer parti des vides de pouvoir et des rivalités géopolitiques provoquées par la compétition entre puissances actives dans ces zones. La Turquie bénéficie également parfois de sa position de membre de l'OTAN et de son statut de concurrent jugé relativement moins menaçant par certaines puissances internationales. Néanmoins, ces interactions ne sont pas toujours caractérisées par la stabilité et la confiance. Une partie de la politique étrangère turque repose sur une méfiance envers certains de ses partenaires internationaux, exacerbée par la fragilité de son alliance avec l'Occident dans le cadre de l'OTAN. Cela conduit la Turquie à envisager la nécessité de rechercher des alternatives pour assurer ses intérêts nationaux en dehors des partenariats et alliances traditionnels.

Abstract:

This thesis discusses the theoretical concept of geopolitics, synthesizing the core principles of various definitions to arrive at a unified definition, which can be summarized as the art of structuring a state's foreign and domestic policy by aligning its capabilities and goals with the geographical realities of its territory and surrounding environment. The examination of the scientific framework of geopolitical theories leads to the conclusion that contemporary advancements in warfare and military technology make it essential to integrate hard power, such as land, naval, or air force, with soft power strategies to create effective geopolitical plans.

Applying these theories to the Turkish context, this thesis posits that, in its pursuit of enhancing global standing and expanding regional influence, and driven by its current ambitions and capabilities, as well as historical, ethnic, cultural, and religious factors, Turkey views the Eastern Mediterranean and Central Asia as the most suitable areas for its geopolitical maneuvers. These regions not only possess high geopolitical value due to their strategic location and resource wealth, but also align with the geopolitical tools and capacities Turkey presently holds.

The thesis further explores the practical application of Turkey's geopolitical vision, examining how Turkey employs all available resources to operate effectively in these regions, utilizing soft power in Central Asia and hard power in northern Syria and Iraq. Turkey's actions in these areas are characterized by attempts to exploit power vacuums and geopolitical tensions arising from the competition between international and regional powers, along with leveraging its position as a NATO member and its status as a relatively less threatening competitor from the perspective of certain international actors.

However, this does not imply stable or trusting relations with these actors. As much of Turkey's foreign policy is grounded in a lack of trust in some international partners and the fragile nature of its western alliance under NATO, which has driven Turkey to consider alternative means to secure its national interests outside of traditional alliances and partnerships.

دليل المصطلحات الملخّصة

1- ص: صفحة.

2- P: Page.

3- ط: طبعة.

4- PP: From page number to page number.

5- Op. Cit: "Opere Citato"، مصطلح لاتيني يعني مرجع سابق.

6- Ibid: "Ibidem"، مصطلح لاتيني يعني المرجع نفسه.

7- د.ت.: دون تاريخ نشر.

8- د.م.: دون مكان نشر.

9- ط: طبعة.

10- Ed: Edition، أي طبعة.

11- الناتو: North Atlantic Treaty Organization أو حلف شمال الأطلسي.

ملخص تصميم الرسالة

- ❖ الفصل الأول: ماهية الجيوبوليتيك وإسقاطاته في آسيا الوسطى وشرق المتوسط
  - o المبحث الأول: ماهية الجيوبوليتيك وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي
    - المطلب الأول: نظريات الجيوبوليتيك وعلاقته بالجغرافيا السياسية
    - المطلب الثاني: عناصر قوّة الدولة وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي
  - o المبحث الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لآسيا الوسطى وشرق المتوسط
    - المطلب الأول: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي لآسيا الوسطى
    - المطلب الثاني: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي في شرق المتوسط
- ❖ الفصل الثاني: الممارسات الجيوبوليتيكة التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط في إطار التفاعلات الدولية
  - o المبحث الأول: الدور الإقليمي التركي في سياقه التاريخي والمعاصر
    - المطلب الأول: تبلور الجيوبوليتيك التركي وتطبيقاته الإقليمية
    - المطلب الثاني: محددات التحركات التركية تجاه شرق المتوسط ووسط آسيا
  - o المبحث الثاني: الدور الإقليمي التركي وانعكاساته على العلاقات الدولية
    - المطلب الأول: الدور الإقليمي التركي وانعكاساته على العلاقات الدولية
    - المطلب الثاني: أبرز المواقف الدولية تجاه الدور الإقليمي التركي

المقدّمة

إنّ ملامح المشهد السياسي الدولي التي بدأت تتشكل منذ بدايات القرن العشرين، خصوصاً بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وما نتج عنهما من تغيّرٍ في الخريطة السياسية العالمية وطبيعة العلاقات الدولية، لا زالت تلقي بظلالها على التوجهات السياسية والإستراتيجية للدول الكبرى والإقليمية إلى يومنا هذا؛ إذ لا تزال الدول المنتصرة في هذه الحروب، والتي أصبحت فيما بعد تُلقب بالدول الكبرى، تنظر الى العالم على أنه رقعة كبيرة من المصالح التي يجب أن تتنافس مع غيرها من الدول بهدف السيطرة على أكبر قدر ممكن منها.

وهذا لا يعني –بالضرورة– أن فكرة الصراع الدولي للسيطرة على أكبر قدر ممكن من المساحات أو المصالح هي نتاج مرحلة ما بعد الحربين العالميتين، إلا أنّ هذا الصراع اتخذ بعد هذه المرحلة شكلاً جديداً، وبات يُبنى على معايير أكثر دقة من ذي قبل. بتعبيرٍ آخر، لم تعُد الدول الطامحة للتوسع تهتم فحسب بالسيطرة على أكبر قدرٍ ممكن من الأراضي لكي تصُبح امبراطورية مُترامية الأطراف، بل باتت تضعُ في عين الإعتبار معايير جديدة ومتشعبة لتحديد مدى أهمية المساحة المستهدفة، كالموقع الجغرافي والموارد والسكان والتضاريس بالإضافة إلى الكثير من المعايير الأخرى التي سنعالجها تباعاً بالتفصيل خلال هذا البحث.

علاوةً على ذلك، فإنّ عملية تحديد المعايير المناسبة التي يُفترض أن تبني عليها الدولة ذات الطموح التوسّعي خططها تجاه المساحة المستهدفة لم تعُد تتم بطريقة عشوائية، بل أصبحت تتطلب الإستناد إلى نظريات ودراسات علمية يجُريها المتخصصون في حقول علمية عديدة نذكر أهمها –على سبيل المثال لاالحصر– علم السياسة والعلوم الجغرافية والجيولوجية وعلم الاجتماع وعلم الأنتروبولوجيا.

لهذه الأسباب وغيرها، شهد القرن العشرين، خصوصاً في بداياته، اهتماماً متزايداً ببعض العلوم التي تُعنى بدراسة وضع الدولة من مختلف الجوانب، وكان اللافت في تلك الفترة بروز الجغرافيا السياسية كمفهوم جديدٍ

يُنظر إلى الدولة من خلاله لتحديد عناصر قوتها ونقاط ضعفها، بالإضافة إلى تحليل طبيعة إقليمها الجغرافي ومدى تأثير ذلك الإقليم على طبيعة وسلوك سكان الدولة وسياساتها وكافة مقوماتها الأخرى.

لكن متطلبات العصر بالنسبة للدول ذات الطموح التوسّعي في ذلك الوقت، لم تكن لتكتفي بالجغرافيا السياسية وحدها، نظراً لانكباب هذا الفرع من العلوم على دراسة واقع الدولة ومكامن قوتها وضعفها وتأثير هذه العوامل على عملية نمو الدولة بطريقة جامدة. فعلى الرغم من ارتكاز الجغرافيا السياسية على المبدأ القائل بأن الدولة كالكائن الحي تنمو وتمدد وإلا كانت عرضةً للهلاك والاندثار، إلا أنها لم تقدّم خطة أو نظرة مستقبلية لكيفية قيام الدولة بتدعيم نقاط ضعفها وتطوير عوامل القوة الموجودة لديها –أو حتى السعي للحصول على هذه العوامل–، لاستخدامها لاحقاً في تحقيق طموحات الدولة في المستقبل القريب أو البعيد.

من هنا ظهر الجيوبوليتيك، أو ما يمكن ترجمته بعبارة "السياسة الجغرافية" كحل لتلافي مشكلة جمود الجغرافيا السياسية، وإعطاء العامل الجغرافي بُعداً متحركاً وأهمية أكبر من ذي قبل في رسم السياسات الخارجية للدول، فبدلاً من نظر الجغرافيا السياسية إلى العامل الجغرافي على أنّه أمر واقع لا يمكن تغييره، ينطوي جوهر التفكير الجيوبوليتيكي على اعتبار الجغرافيا عاملاً مرناً يمكن توجيهه والتحكم فيه، بما يجعله أداةً ديناميكية قابلة للحركة وإعادة التشكيل بما يخدم استراتيجيات الدولة ومصالحها وأهدافها الحالية والمستقبلية.

وإنّ كون الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك مصطلحاتٍ حديثةٍ نسبياً ظهرت منذ فترةٍ تاريخيةٍ ليست ببعيدة، لا يعني أن الأبعاد التي تدرسها هذه المفاهيم لم تكن تأخذ حيزاً مهماً في رسم السياسات الداخلية والخارجية للدول قبل ظهور هذين المصطلحين، لكن ظهور مصطلح الجغرافيا السياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر مع فريدريك راتزل، وما تلاه من ظهور مصطلح الجيوبوليتيك مع المفكر السويدي رودولف كيلين؛ قد أدى إلى دخول هذه المفاهيم الجديدة إلى ميادين البحث العلمي والمنهجي لتصبح موضوعاً مركزياً للعديد من الدراسات والنظريات التي ارتكزت عليها السياسات الإقليمية والدولية للدول الكبرى، وبُنيت على قواعدها هياكل النظام الدولي الذي يحكم المشهد السياسي العالمي ويُحدد طبيعة العلاقات بين الدول المكونة لهذا النظام.

واللافت في ما شهدته السياسة الدولية من تزايد في الإهتمام بهذه العلوم، أن ذلك الإهتمام كان مُنحصراً لدى الدول الكبرى أو الإقليمية دوناً عن الدول التي ليس لها تأثير خارج حدودها، حيثُ اعتنقت معظم الدول الكبرى نظريات جيوبوليتيكية بنَت على أساسها سياساتها الخارجية تجاه محيطها القريب والبعيد، فعلى سبيل المثال،

ارتكز الفكر الجيوبوليتيكي الأميركي على أفكار ألفرد ماهان حول القوة البحرية، وتمّت ترجمة ذلك عبر الإهتمام المتزايد للولايات المتحدة بتطوير أسطولها البحري وسلاح مشاة البحرية "المارينز".

وبما أن طبيعة المشهد السياسي الدولي تتصف بالمرونة وعدم الجمود، فقد شهد المسرح الدولي، خصوصاً في العقود الثلاثة الماضية بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار نظام الثنائية القطبية، تغيراتٍ كبيرة في التراتبية الدولية، حيثُ تراجع تأثير بعض الدول في النظام الدولي لصالح لاعبين جُدد بدؤوا في الظهور على الساحة السياسية الدولية عبر ما يعُرف بظاهرة الدول الإقليمية.

ويُشير مفهوم الدول الإقليمية، إلى تلك الدول التي تمتلك أو تسعى إلى امتلاك نفوذ وتأثير في محيطها الإقليمي أو في إقليم جغرافي معيّن خارج حدودها. حيثُ أنّ الدول ذات الطموح الإقليمي هي دول لديها إمكانيات وأدوات تسمح لها بممارسة بعض التأثير والنفوذ خارج حدود إقليمها الجغرافي، لكن هذه الإمكانات والأدوات تكون محدودة أوغير كافية لجعلها تمارس تأثيراً ذا مستوى عالمي، مما يدفعها إلى حصر وتركيز إمكانياتها في إقليم جغرافي محدد دون غيره، بغرض تحقيق أقصى إستفادة ممكنة من هذه الإمكانيات.

انطلاقاً من هذا التعريف، تُعد تركيا واحدة من هذه الدول، حيث بدأت الأخيرة بالتعبير عن طموحاتها الإقليمية في شرق المتوسط منذ الغزو التركي لشمال قبرص في العام 1974، ومن ثم في منطقة القوقاز عبر دعم أذربيجان في صراعها مع أرمينيا، لتعبُر بعد ذلك عبر القوقاز إلى آسيا الوسطى، وقد تزايدت هذه الطموحات الإقليمية التركية بشكل كبير خلال العقود الثلاثة الماضية لعدّة أسباب سيجري تفصيلها لاحقاً.

وبما أنّ الإعتبارات الجيوبوليتيكة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من أدوات صياغة السياسة الخارجية بالنسبة لأي دولة تمتلك طموحاً توسعياً خارج حدودها، سواء كان هذا الطموح إقليمياً أو دولياً، تمّت بلورة بعض التوجهات الجيوبوليتيكية التي تعُبر عن الطموحات الإقليمية التركية لا سيما في أهم إقليمين جغرافيين بالنسبة للجيوبوليتيك التركي، أي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، نظراً لقرب هذين الإقليمين جغرافياً من إقليم الجمهورية التركية واحتوائهما على شعوب تجمعها بتركيا –في الغالب– روابط العرق واللغة والتاريخ المشترك والدين، فضلاً عن تمتع هذين الإقليمين بمواقع وثروات ومزايا إستراتيجية تجعلهما مركزاً للصراع على النفوذ والمصالح بين مختلف الدول الكبرى والإقليمية.

وعلى الرغم من كون الروابط الجغرافية والثقافية تُشكّل أهم محركٍ للسياسات الخارجية التركية تجاه هذين الإقليمين، إلا أنّها ليست المحرك الوحيد. حيث يعتبر منظرو الفكر الجيوبوليتيكي التركي أنه لا بد لتركيا من التحرك نحو هذين الإقليمين سواء عبر القوة الناعمة أو عبر القوة العسكرية، نظراً لاحتواء هذين الإقليمين على مقومات ومزايا استراتيجية تشكل بالنسبة لتركيا قضايا أمن قومي لا يمكن تجاهلها.

وبالحديث عن الأمن القومي، تجدر الإشارة إلى أنّ الأخير يشكل الغاية الرئيسية للجيوبوليتيك في شِقّيه النظري والتطبيقي، إذ يهدف هذا الفرع من العلوم في مراحله الأولى إلى تحديد مهددات أمن الدولة الداخلية والخارجية وتحديد أسباب هذه المهددات والعوامل المؤثرة فيها، ثم ينتقل في إلى محاولة تحديد الإمكانيات والفرص المحتملة التي من الممكن أن تحمل في طياتها حلولاً أو أوضاعاً جديدة تسُهم في تأجيل هذه التهديدات بشكل مؤقت أو إبعادها بشكل نهائي، عبر وضع الخطط التفصلية التي من المفترض أن تتحرك بموجبها الدولة ذات الطموح الجيوبوليتيكي تجاه الإقليم الجغرافي الذي تنوي مدّ نفوذها إليه بهدف تحقيق أهدافها ومصالحها.

وإنّ أمن الحدود ووحدة الأراضي، تُعد من أهم المسائل التي تدخل في صلب الأمن القومي لأي دولة، خصوصاً بالنسبة تركيا، حيثُ تأخذ هذه المسائل أهمية كبرى في الوعي الجمعي التركي. فالقارئ للسياق التاريخي لتشكل الدولة التركية الحديثة، يرى أن تركيا كادت تفقد مساحات هائلة من أراضيها بموجب معاهدة "سيفر" التي تم عقدها بين تركيا والحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى، والتي اشترطت أن يحصل أكراد تركيا على الحكم الذاتي الذي يستتبع بطبيعة الحال المطالبة بالإستقلال، بالإضافة إلى إعطاء جزر بحر إيجه لليونان، كما كادت تركيا أن تفقد ولاية اسطنبول وما حولها قبل أن تسترجعها في حرب الإستقلال، ما يعني أنّ الجمهورية التركية تحمل عقدة وحدة الأراضي وأمن الحدود منذ ولادتها.

وإنّ ما سبق ذكره، لا يعني أن غايات الجيوبوليتيك تنحصر في كونها سياسات دفاعية تهدف إلى حماية الأمن القومي للدولة من المهددات الداخلية والخارجية والحفاظ على مصالح الدولة ومكتسباتها الحالية، بل إنّه يُعنى أيضاً بتدعيم الوضع المستقبلي للدولة، عبر وضع الخطط التفصيلية لكيفية الحصول على مزايا ومكتسبات جديدة، ومن ثم الحفاظ على هذه المزايا والمكتسبات وتوظيفها لخدمة أهداف الدولة وطموحاتها في المستقبل.

من هذا المنطلق، انتهج الجيوبوليتيك التركي نهجاً يطمح ليس فقط إلى معالجة مهددات الأمن القومي والحفاظ على مكتسبات الوضع الراهن، بل يهدف أيضاً إلى تعزيز الدور الإقليمي والعالمي لتركيا وتحصيل أكبر قدرٍ

ممكن من المكتسبات، مع اتخاذ شرق المتوسط وآسيا الوسطى بمثابة نقطة انطلاق نحو مشاركة أكبر لتركيا في إدارة النظام الدولي وتسوية القضايا الدولية، وهذا ما عبرّ عنه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في عبارته الشهيرة "العالم أكبر من خمسة"، في إشارة منه إلى الإعتبارات التركية بحتمية عدم اقتصار التحكم في مفاصل النظام الدولي على الدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

ومما لا جدال فيه، أنّ سعي تركيا لمنافسة الدول الكبرى على النفوذ في هذه المناطق الإستراتيجية سيؤدي إلى توترٍ كبير في العلاقات الدولية، ليس فقط بين تركيا والدول الفاعلة في مناطق النفوذ المتنازع عليها، بل أيضاً مع بعض حكومات الدول الواقعة في الأقاليم الجغرافية التي تتوجه إليها السياسات الجغرافية التركية. وبالتالي، فإن التنظير للجيوبوليتيك التركي في وسط آسيا وشرق المتوسط ومحاولة استشراف مستقبله في هذه المناطق يتطلب مرونة وشمولية في التحليل، للأخذ بعين الإعتبار القدر الكبير من الإضطرابات التي ستنتج عن تضارب المصالح وتشابك مناطق النفوذ الذي سيحصل بين تركيا والعناصر الفاعلة هذين الإقليمين.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول الإطار النظري لمفهوم ونظريات الجيوبوليتيك، بالإضافة إلى عرض أبرز العوامل التي تؤثر في قوة الدولة وأهميتها الجيوبوليتيكية، ومن ثمّ إسقاط كافة هذه المفاهيم النظرية على الوحدات السياسية التي تدرسها هذه الرسالة، أي تركيا وإقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط. كما تشكل هذه الرسالة تحليلاً مفصّلاً لخصائص ومميزات إقليمي وسط آسيا وشرق المتوسط والتفاعلات السياسية فيهما وطبيعة التحركات التركية تجاه هذه المناطق، بالإضافة إلى تبيان الإمكانيات والإعتبارات التي تنطلق منها هذه التحركات. وبالتالي يُمكن أن تشكل هذه الدراسة، دليلاً للمهتمين بالعلاقات الدولية للوقوف على طبيعة المشهد السياسي في هذه الأقاليم المذكورة وتأثير الدور التركي على تشكيله، بالإضافة إلى محاولة استشراف مستقبل المنطقة عبر ربط وتحليل المعطيات ذات الصلة.

السياق التاريخي: باعتبارها دولةً قوميةً حديثة، نشأت كنتيجةٍ لانهيار الدولة العثمانية التي مارست قبل بداية انحدارها دوراً مؤثراً بشكل كبير على الساحة السياسية العالمية، حملت تركيا عند ولادتها إرثاً تاريخياً لا قُدرة لها على تحمّل تبعاته في ظلّ إمكانياتها المحدودة. ولعلّ هذا –إلى جانب عوامل أخرى–، قد شكّل أحد الأسباب التي دفعت صناع القرار في تركيا خلال عقودها الأولى إلى التملّص من كل ما يمتّ إلى التاريخ العثماني بصلة، لأن الإمكانيات التركية آنذاك لم تكن تسمح لها باستعادة أي شيئٍ من دورها وإرثها التاريخي.

إلّا أنّ هذا الموقف الصارم بالإنعزال عن الأقاليم الجغرافية التي كانت تخضع سابقاً للحكم العثماني، ما لبث أن تغير بعد تعرض الأمن القومي التركي لتهديداتٍ مصدرها هذه الأقاليم نفسها، عبر قيام بعض خصوم تركيا بالتحرك ضد المصالح التركية في هذه الأقاليم، مما جعل التحرك التركي لمواجهة هذه التحركات أمراً حتمياً من وجهة نظر صنّاع القرار الأتراك، كما حصل في أزمة قبرص في العام 1974.

بالإضافة إلى ذلك، أدّت فترات الإستقرار النسبي الذي شهدتها تركيا منذ بداية الستينات، بالإضافة إلى تنامي دورها في حلف شمال الأطلسي، إلى حصول تركيا على بعض الإمكانيات التي من الممكن توظيفها في ممارسة بعض التأثير في الأقاليم القريبة منها جغرافياً أو حتى ثقافياً، لا سيما بعد انهيار الإتحاد السوفييتي وما تبعه من فراغ في الخريطة الجيوسياسية العالمية.

كما تضافرت كل هذه العوامل التي سبق ذكرها أعلاه مع تغيرات كبيرة في المشهد السياسي الداخلي في تركيا، مع تصاعد الحركات القومية والتيارات الإسلامية التي نادت بدورٍ تركي أكبر في الأقاليم العثمانية السابقة، فيما عُرف بسياسة "العثمانية الجديدة"، التي تبلورت أكثر طوال فترة حكم حزب العدالة والتنمية، وساعدها على ذلك التغيرات الحاصلة على صعيد النظام الدولي لجهة بروز بعض القوى الدولية أو الإقليمية وتراجع بعضها الآخر، ما شكّل بيئة خصبة لحركة تركيا كقوة إقليمية ناشئة ضمن مكونات النظام الدولي الحالي.

ولأسباب تعود إلى عوامل داخلية وخارجية، شهدت العقود الثلاثة الماضية نشاطاً كثيفاً لتركيا خارج حدودها، كما تمت ممارسة هذا النشاط عبر وسائل مختلفة، منها ما يندرج تحت أسلوب القوة الناعمة كما في نموذج منظمة الدول التركية التي جمعت تركيا مع دول آسيا الوسطى، أو عبر أسلوب القوة الصلبة كنموذج شمال سوريا وشمال العراق، أو عبر الدمج بين الأسلوبين الناعم والصلب فيما يُعرف بأسلوب "القوّة الذكية"، كما يحصل في نموذج التحركات التركية في ليبيا.

الإشكالية: إنّ كافة المعطيات التي سبق ذكرها تضعنا أمام إشكالية معقّدة يمكن التعبير عنها من خلال الأسئلة التالية: ما هي طبيعة وأهداف الطموحات الجيوبوليتيكية التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط؟ وكيف ستؤثر هذه الطموحات على الدور التركي في هذين الإقليمين وعلى التفاعلات السياسية فيهما؟ وبهدف معالجة هذه الإشكالية بطريقة أوضح، ستقوم هذه الدراسة بتفكيكها إلى مجموعة الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو مفهوم الجيوبوليتيك وأبرز نظرياته؟

- ما هي العوامل التي تُحدد قوة الدولة ومكانتها الجيوبوليتيكية؟
- ما هي طبيعة المشهد الجيوسياسي في آسيا الوسطى وشرق المتوسط؟ وما هي الإعتبارات والإمكانيات التي تنطلق منها الرؤية الجيوبوليتيكية التركية تجاه هذين الإقليمين؟
- كيف يُمكن إسقاط المفاهيم والنظريات الجيوبوليتيكية على السياسيات الخارجية التركية تجاه إقليمي وسط آسيا وشرق المتوسط؟
- كيف ستؤثر هذه التحركات على توازنات القوى في هذه المناطق وعلى موقع تركيا في النظام الدولي وعلاقاتها مع العناصر المكونة لهذا النظام؟

الفرضيّات: تنطلق هذه الدراسة من فرضيةٍ مفادها أن تركيا، بسبب عوامل تاريخية ومعاصرة، تمتلك طموحاتٍ تهدف إلى تعزيز موقعها في الساحة الدولية والمشاركة بشكل أكثر فاعلية في إدارة النظام الدولي؛ ولهذه الأسباب، ترتكز السياسات الخارجية التركية بشكل كبير على معالجة مهددات الأمن القومي التركي ومحاولة تأمين أكبر قدر من المصالح والمكتسبات لتركيا خارج حدودها.

وخلال سعيها لتحقيق هذه الغايات، تُحاول تركيا تركيز إمكانياتها الإقتصادية والسياسية والعسكرية في أقاليم جغرافية محددة لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من هذه الإمكانيات، خصوصاً في إقليمي وسط آسيا وشرق المتوسط، حيث تسعى تركيا إلى الإستفادة من المزايا الإستراتيجية لهذين الإقليمين والروابط العرقية والتاريخية والدينية التي تجمعها بالشعوب التي تسكنهما. كما تفترض هذه الدراسة أيضاً أن هذا الدور الإقليمي التركي سيكون له تداعيات بعضها سلبي وبعضها إيجابي على علاقات تركيا بالفواعل الدولية الأخرى المؤثرة في هذين الإقليمين.

المنهج: لمعالجة الإشكالية الرئيسية والوصول إلى إجابات على الأسئلة الفرعية المنبثقة عنها، سيتّم اعتماد:

- المنهج الوصفي: الذي يقوم على عرض المعطيات والوقائع وتحليلها بطريقة وافية ومتكاملة للوصول إلى توصيف علمي متكامل للظواهر قيد الدراسة، وسيتم ذلك من خلال عرض المفاهيم والنظريّات العلمية التي يُبنى عليها الجيوبوليتيك، وأبرز العوامل التي تؤثر في الواقع الجيوبوليتيكي للدولة، ثم إسقاط ذلك كلّه على تركيا وإقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط لتكوين صورة وافية وشاملة عن الواقع الجيوبوليتيكي في هذين الإقليمين وطبيعة الرؤية الجيوبوليتيكية التركية تجاههما.
- المنهج التحليلي: الذي يقوم على تفكيك العناصر المكونة للظواهر قيد الدراسة بهدف الوصول إلى استنتاجاتٍ مبنية على معطيات علمية دقيقة، وسيتم ذلك من خلال تحليل المعطيات التي تمّ عرضها لاستخلاص أسس

التخطيط الجيوبوليتيكي وكيفية إسقاطه على الحالة التركية، وبالتالي تحليل مرتكزات ونتائج التحركات الجيوبوليتيكية التركية تجاه الإقليمين موضوع الدراسة وتحليل المواقف الدولية تجاه هذه التحركات.

الصعوبات: تمثّلت الصعوبات في كثرة المسائل الفرعية المرتبطة بالموضوع الرئيسي، والتي كان من الصعب الوقوف على كافّة تفاصيلها بهدف الإلتزام بالحجم المحدد للرسالة، بالإضافة إلى كثرة المراجع حول هذه المسائل، إذ تطلّب الأمر أحياناً دراسة عدّة مراجع للإحاطة بمسألة فرعية ثانوية. لكّن هذه الصعوبات تحوّلت لاحقا لمزايا، حيث نتج عنها حالة من توسيع المدارك والفهم العميق لبعض المسائل التي كانت ضبابيةً في السابق، كما فتحت آفاقاً جديدة للعديد من الإشكاليات التي ترتبط بموضوع هذه الرسالة لبحثها ومعالجتها مستقبلاً.

الدراسات السابقة: على الرغم من كثرة الدراسات التي تتناول السياسة الخارجية التركية، لم نقف خلال فترة إعداد الرسالة على دراسة شاملة تناولت الجيوبوليتيك التركي بشقيه النظري والتطبيقي بالإضافة إلى تطبيقاته في شرق المتوسط ووسط آسيا. لكن من باب نسبة الفضل إلى أهله، كان كتابَيْ "العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية" لمؤلفه أحمد داوود أوغلو وكتاب "أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي" لمؤلفه ألكسندر دوغين، بمثابة حجر الأساس الذي بُنيت عليه فكرة هذه الرسالة، حيث حاولت هذه الأخيرة دراسة وتحليل مصطلح الجيوبوليتيك بدءاً من المفهوم إلى النظريات لاستنتاج أسس التخطيط الجبوبوليتيكي، ومن ثم محاولة تطبيق كافّة هذه الجوانب النظرية على المناطق والأقاليم التي يُمكن وصفها بـ"العمق الإستراتيجي لتركيا".

خطة الدراسة: سيتم اعتماد التقسيم الثنائي عبر شطر هذه الرسالة إلى فصلين، سيتناول الفصل الأول الإطار النظري للجيوبوليتيك، حيث يدرس المبحث الأول من هذا الفصل الأسس والنظريات المتعلقة بالجيوبوليتيك والتخطيط الجيوبوليتيكي، بينما يناقش المبحث الثاني تفصيل الواقع الجيوبوليتيكي في إقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط بالإستناد إلى القواعد النظرية التي جرى استخلاصها في المبحث الأول.

أمّا الفصل الثاني، فسيتناول الإطار الإقليمي والدولي للتحركات التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط، حيث يدرس المبحث الأول من هذا الفصل الدور التركي في هذين الإقليمين من حيث طبيعته وأهدافه والمرتكزات التي ينطلق منها، بينما يتناول المبحث الثاني السياق التاريخي والمعاصر لإعادة تبلور الدور الإقليمي التركي ومواقف القوى الدولية والإقليمية الفاعلة في وسط آسيا وشرق المتوسط تجاه هذا الدور.

الفصل الأول: ماهية الجيوبوليتيك وإسقاطاته في آسيا الوسطى وشرق المتوسط

كغيره من المصطلحات الرائجة في علم السياسة، حظِيَ مصطلح الجيوبوليتيك بتعريفات عديدة ومتشعبة من قِبل العلماء والمفكرين، لدرجة أنّه يمكننا القول بأنّه من الصعوبة بمكان إحصاء كل هذه التعريفات وتفنيدها دون أن يتطلب هذا الأمر إفراد بحثٍ مستقل لهذه المسألة، إلّا أنّه من بين هذا الكمّ الذي لا حصر له من التعريفات، يمكننا انتقاء أكثرها شموليةً ودقّة في توصيف مقاصد هذا المصطلح.

كان المفكر الروسي ألكسندر دوغين، الذي عُرف باهتمامه الشديد بالجيوبوليتيك، بمثابة المُجددّ لهذا الفرع من العلوم، حيث اعتُبرت مؤلفاته بمثابة تفنيدٍ للنظريات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية لاستخلاص قواعد الجيوبوليتيك التي تنطبق على الحالة الروسية، بهدف محاولة استشراف المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا وما يجب أن تكون عليه السياسات الخارجية الروسيّة في المستقبل.

وعلى نحوٍ مشابه، سيتناول هذا الفصل استعراضاً لمفهوم الجيوبوليتيك وأبرز نظرياته، ومن ثم استخلاص أسس التخطيط المستندة إلى هذه النظريات، بالإضافة إلى إسقاط هذه المفاهيم النظرية على الواقع الجيوبوليتيكي لكلٍ من إقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط لتبيان الأهمية الجيوبوليتيكة لهذه الأقاليم بالنسبة لتركيا.

المبحث الأول: ماهية الجيوبوليتيك وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي

يمكن القون بأنّ تعريف ألكسندر دوغين لمفهوم الجيوبوليتيك هو واحد من أهم وأشمل التعريفات التي تناولت هذا المصطلح منذ نشأته وحتى وقتنا المعاصر، حيث يُعرّف دوغين الجيوبوليتيك بأنّه "وجهة نظر السلطة، وعلم السلطة من أجل السلطة، وهو علم الفئات السياسية العليا وأولئك الذين شاركوا في حكم الدول أو من يُعدّون أنفسهم لذلك، أي أنّه علم الحكم، والدليل المخلص لرجل السلطة، يُقّدّم فيه ملخصاً لما يجب وضعه في عين الإعتبار عند اتخاذ القرارات المصيريّة".[1]

[1] ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 بيروت، 2004، ص 60.

أمّا رودولف كيلين (Rudolf Kjellén) العالم والمفكّر السياسي السويدي الذي صاغ مصطلح الجيوبوليتيك لأول مرة في بدايات القرن العشرين، فقد عرّف هذا المصطلح على أنّه يرمز إلى "دراسة الدولة ككائن جغرافي حيّ، أو كتجلّي في فضاء الجغرافيا من خلال النظر إلى ما تمتلكه من الإقليم الجغرافي والإمكانيّات والخصائص والإعتبارات الوطنية، أي النظر إليها كمملكة متكاملة، مع التركيز من الجانب السياسي على وحدتها كدولة، والسعي إلى المساهمة في فهم طبيعتها؛ بينما تدرس الجغرافيا السياسية الإقليم الجغرافي باعتباره مقراً للمجتمعات الإنسانية وعلاقة هذه المجتمعات بخصائص هذا الإقليم".[1]

المطلب الأول: نظريات الجيوبوليتيك وعلاقته بالجغرافيا السياسية

ظهر مصطلح الجغرافيا السياسية في القرن التاسع عشر مع العالم الألماني فريدريك راتزل (F. Rtazel) بعد صدور كتابه بعنوان "الجغرافيا السياسية"، حيث بات الأخير يُعتبر بمثابة الأب المؤسس للجغرافيا السياسية، كما كانت له إسهامات كثيرة في بلورة بعض المصطلحات المتعلقة بهذا الفرع من العلوم مثل الحتمية الجغرافية والمجال الحيوي والدولة العضوية، بالإضافة إلى وضعه للقواعد السبعة لنمو الدول، والتي لا زالت تُقدّم توصيفاً دقيقاً لمرتكزات السياسات التوسعية للدول الكبرى إلى يومنا هذا.

وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أنّ العديد من المؤلفات التي تتناول مسألة الترابط بين السياسة والجغرافيا وتأثيرهما المتبادل على بعضهما البعض، تخلط عادةً بين مصطلحَي الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية. فعلى الرغم من التقارب الشديد بين هذين المصطلحين وكون المباحث التي يدرسانها مشتركةً بينهما في الغالب، إلّا أنّهما يختلفان في عدّة مسائل جوهرية، حيث "تُعرف الجغرافيا السياسية بأنّها العلم الذي يدرس المقومات الجغرافية للدولة بالإضافة إلى علاقة الإنسان مع البيئة الجغرافية المحيطة به في إطار إقليم سياسي معيّن"[2]، كما يُعرّفها جورج رينيه بأنّها "دراسة الدولة في مقابل طبيعتها الأرضية، مكانها ومساحتها وشكلها الفيزيائي ومواردها البشرية، في محاولةٍ لإكتشاف الإشكاليات التي تعاني منها الأمة التي تتكون منها هذه الدولة".[3]

---

[1] Rudolf Kjellén, The State as a Lifeform, Swedish ed., 1916, P 30.

[2] محمد حجازي محمد، الجغرافيا السياسية، الحقوق للمؤلف، القاهرة، 1996-1997، ص 8-10.

[3] George T. Renne, Human Geography in The Air Age, The Macmillan Company, New York, 1942, P173.

كما يمكن اعتبار الجغرافيا السياسية بمثابة "طريقة تفكير منهجية تُفسر البُعد المكاني للسلوك السياسي عبر اكتشاف مدى كون العمليات السياسية متأثرة بالأبعاد المكانية، وكيفية تأثير هذه الأبعاد على المخرجات السياسية".[1] حيث إنّها تهتم في الغالب بدراسة الواقع الجغرافي للدولة بصورته الحالية وتأثير هذا الواقع الجغرافي على العناصر البشرية المتواجدة فيه، دون وضع تصوّرات مستقبلية عن كيفية تعزيز هذا الواقع الجغرافي أو معالجة عيوبه، في حين أن الجيوبوليتيك يأخذ في الغالب الإعتبارات المستقبلية في عين الاعتبار، ويخرج عن جمود الجغرافية السياسية بحيث يجعل من الواقع الجغرافي الحالي أداةً قابلة للتعديل بما يمكن أن يتناسب مع تحقيق مصالح الدولة أو مواجهة العوامل التي يمكن أن تشكّل تهديداً لتلك المصالح.

بتعبيرٍ آخر، "تُجيب الجغرافية السياسية عن سؤال أين نحن الآن، في حين يجيب الجيوبوليتيك عن سؤال المستقبل وكيفية الوصول إليه، فالجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستاتيكية، أمّا الجيوبوليتيك فيعدّها كائناً عضويّاً في حركة متطورة".[2] وبالتالي فلا مانع بالنسبة لمُنظّري الجيوبوليتيك، من الخروج عن حدود الدولة ورسم استراتيجيات تمتد إلى ما وراء الحدود إذا كان للدولة مصلحة في ذلك، حيث إنّ الجيوبوليتيك يجعل العامل الجغرافي في خدمة الدولة، بينما تراه الجغرافيا السياسية أنّه مجرد صورةٍ للدولة.

وبالتالي، يمكن أن نلخص الفوارق بين الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية بالآتي:

1) تدرس الجغرافيا السياسية الواقع الجغرافي الحالي للدولة، بينما يهتم الجيوبوليتيك بإبراز تصوراتٍ للواقع الجغرافي الذي يجب أن تكون عليه الدولة مستقبلاً.
2) الجغرافيا السياسية ترى الجغرافيا كأمر واقع وثابت، بينما يراها الجيوبوليتيك كأداة متحركة يمكن توجيهها لخدمة أهداف الدولة.
3) إنّ حيّز البحث بالنسبة للجغرافيا السياسية ينحصر في الغالب داخل الحدود السياسية للدولة، بينما تنطلق الدراسة الجيوبوليتيكة من داخل الإقليم الجغرافي للدولة وتتمدد – في معظم الأحيان– إلى خارج نطاق هذا الإقليم إذا كانت الدولة معنية بمصالح واقعة وراء الحدود.

[1] Klaus Dodds, Geopolitics: A Very Short Introduction, Oxford University Press, UK, No Date, P: 15.

[2] محمد عبد السلام، الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول، دار الكتب، القاهرة، 2019، ص 35، بتصرّف.

كما يتميزّ الجيوبوليتيك عن الجغرافيا السياسية بأنّه لا يكتفي بأن يأتي ليقول للدولة كيف تستفيد من مزايا واقعها الجغرافي فحسب، بل أيضاً كيف تعززه وتصحح عيوبه، وكيف يمكن لها أن تسعى إلى امتلاك المزايا الجغرافية التي تعزز أمنها ومصالحها وتجعلها قادرة على النموّ في المستقبل، حتّى وإن كانت هذه الدولة لا تمتلك هذه المزايا في الوقت الحالي.

وبعد توضيح النقاط التي تحول دون الخلط بين المصطلحين السابق ذكرهما، يتّضحُ أنّ الجيوبوليتيك يُعنى بدراسة تأثير التوجهات السياسية على الأبعاد الجغرافية للدولة، وهو جعل الجغرافيا في خدمة الدولة، أي جعل المعطيات الجغرافية كمصدر من مصادر قوّة الدولة، كما يعرّفه هاوسهوفر (K. Haushofer) على أنّه "عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيوي بالنسبة لكافة العمليات السياسية."[1]. كما يُمكن تعريفه على أنّه "ثقافة سياسية متأثرة بالجغرافيا، وهو بمثابة هندسة السيسات الخارجية للدول ومفسّر لتحركات الدول ونشاطها".[2]

من هنا يتّضح أنّ الجيوبوليتيك علمٌ ذو طبيعة ديناميكية ومتحركة، حيث إنّه يتناول الأبعاد الجغرافية للدولة، ويهدف إلى توجيه تحركات هذه الأخيرة نحو الأنشطة التي يُحتمل أن ينتج عنها تغيّراً معيّناً في الواقع الجغرافي أو السياسي في إقليم الدولة أو محيطها، على أن ينطوي هذا التغيير على إنتاج واقع جديد يُسهم في تحقيق هدف من أهداف الدولة داخلياً أو خارجياً، سواء لجهة إبعاد التهديدات والحفاظ على المكتسبات الحالية، أو إتاحة فرصة أمام الدولة للحصول على مكتسبات جديدة أو تعزيز المكتسبات التي كانت تحظى بها سابقاً.

وعلى صعيد العلاقات الدولية، "يدرس الجيوبوليتيك علاقة الدولة بمحيطها المحلي والعالمي وعلاقة ذلك المحيط بتحركاتها وسياستها الخارجية، ويمثّل ضميرها وطموحها واحتياجاتها المستقبلية وكيفية حمايتها والمحافظة عليها، وبالتالي، فهو مفتاح السياسة القومية".[3] كما يُعرّف الكاتب الأميركي جورج فريدمان الجيوبوليتيك على أنّه "وصف رنّان لعبارة العلاقات الدولية ومنهج تفكير يتعلق بالعالم ويتكهن بما سوف يحدث في هذا المضمار"[4]. أما فيما يتعلّق بالجانب بالأمني، فيمكن القول بأنّ الجيوبوليتيك هو "علم الدولة وعلم الحرب، إذ أنّه يُسهم في

---

[1] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 16-17.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

[3] جاسم سلطان، الجغرافيا والحلم العربي القادم..جيوبوليتيك، تمكين للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2013، ص9-14.

[4] جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة (استشراف القرن الحادي والعشرين)، ترجمة منذر محمود محمد، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2019، ص 28.

تحديد نقاط الضعف"[1]، كما "يعمل على دراسة مهددات أمن الدولة الداخلية والخارجية بهدف صياغة استراتيجية لحماية الدولة عبر الإعداد الكامل للقوات المسلحة والسياسة الخارجية المدروسة، كما إنّه يُعالج مفهوم الأمن القومي في إطار شمولي كامل ويُخرجه من الإطار الضيّق المنحصر في المعالجات البوليسية ووسائل الأمن القمعية إلى رحاب العلم والإعتماد على الأبحاث العلمية الدقيقة".[2]

وبعد استخراج أهم المعايير الجوهرية التي ارتكزت عليها هذه التعريفات، يمكننا أن نستنبط تعريفاً موحداً شاملاً ووافياً لهذا المصطلح بأنّه: منهج علمي للتخطيط، يقوم على دراسة الواقع الجغرافي للدولة ومحيطها بخصائصه ومميزاته وثغراته، بالإضافة إلى رسم التصور الجغرافي المثالي للدولة، لمساعدة صنّاع القرار على تحديد الإعتبارات المحوريّة التي يجب مراعاتها عند رسم الإستراتيجيات والسياسات الخارجية التي ينبغي للدولة تطبيقها في المستقبل، بما يضمن تسخير العامل الجغرافي ليصبح بمثابة أداة لخدمة الدولة ودفع التهديدات عنها وتحقيق أهدافها ومصالحها سواء الداخليّة منها أو تلك الواقعة وراء الحدود.

نظريات الجيوبوليتيك

على الرغم من ظهور مصطلح الجيوبوليتيك لأول مرة مع العالم السويدي رودولف كيلين، إلّا أنّ الجغرافي الألماني فريدريك راتزل يعتبر الأب المؤسس لهذا العلم من خلال كتاباته حول عضوية الدولة وحتمية المجال الحيوي، حيث إنّ القواعد السبعة التي وضعها راتزل لنموّ الدولة في نطاقها المكاني تعتبر بمثابة حجر الأساس الذي تنطلق منه كل النظريّات الجيوبوليتيكية المعاصرة. وقد حددّ راتزل هذه القوانين السبعة بالآتي[3]:

1. إنّ رقعة الدولة تنمو بقدر نموّ حضارتها، وإن انتشار هذه الحضارة أو السكّان الذين يحملونها معهم في أرض جديدة يزيد من مساحة الدولة.
2. إنّ نموّ الدولة يحصل كنتيجة لنموّ السكّان، أي أن نموّ السكّان شرط سابق وأساسي لكي تبدأ الدولة بالتوسع.
3. يستمر نمو الدولة إلى أن تصِل إلى مرحلة الضم، وذلك بإضافة وحدات صغرى إليها.

[1] Rudolf Kjellén,Op.Cit, P 37.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 35.

[3] محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ص 45-46، بتصرّف.

4. إنّ الحدود هي الكائن الحيّ الذي يُغلّف الدولة ويحميها ويوضّح سلامتها ومراحل نموّها.
5. يجب على الدولة خلال مراحل نموّها أن تسعى إلى امتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسية، أي أن تكون هذه الأقاليم ذات موقع مهم أو غنية بالموارد، أو غير ذلك من الخصائص التي تجعلها ذات قيمة بالنسبة للدولة التوسعيّة.
6. إنّ دوافع التوسّع تأتي غالباً من الخارج، فعندما تحمل الدولة الكبرى ذات الحضارة أفكارها وثقافتها إلى الجماعات التي تعيش في الخارج، يؤدي ذلك إلى زيادة في عدد السكّان وبالتالي إلى الشعور بالحاجة إلى التوسع.
7. إنّ الميل العام للتوسّع ينتقل من دولة إلى أخرى ثمّ يشتدّ ويتزايد، أي إنّ مسألة التوسّع قد تزداد بشكل تنافسي بين الدول المختلفة.

أ- نظرية هالفورد ماكيندر (H. Mackinder) حول القوّة البرّية وقلب العالم

اشتهر العالم الجغرافي البريطاني هالفورد ماكيندر بمقاربته الجيوبوليتيكية التي باتت تعرف بنظريّة "قلب العالم أو منطقة الإرتكاز، وهو أول من وضع نسقاً تصورياً للتفكير في العالم كوحدة سياسية واحدة قابلة للتحكم، وحاول أن يقدم مفاتيح اللعبة السياسية الكبرى وكيفية إدارتها"[1]. إذ يعتبر ماكيندر أنه يمكن التحكم بهذه المساحة –أي منطقة الإرتكاز–، حيث إنّ ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية تغطيها المياه، بينما مساحة اليابسة لا تتجاوز ربع إجمالي مساحة العالم، كما أطلق على هذه المساحة اليابسة اسم جزيرة العالم (Word Island).[2]

تتمحور أفكار ماكيندر حول أنّ أكثر المناطق حصانةً عبر التاريخ هي منطقة الاستبس القارّي[3] التي تشمل معظم أراضي روسيا الداخيلة –(أي البعيدة نسبياً عن السواحل ما عدا الساحل الشمالي)–، وتمتد لتصل إلى حدود الصين وشمال شبه القارة الهندية بالإضافة إلى منطقة شرق أوروبا، وتسمّى هذه المنطقة بنقطة الإرتكاز الجغرافي للتاريخ، ويحيط بها هلال داخلي ومن ثمّ هلال خارجي، وقد اصطُلِح على تسمية منطقة الإرتكاز هذه هذه بلفظ قلب العالم أو الهارتلاند (Heartland). أمّا منطقة الهلال الداخلي فهي المنطقة اليابسة التي تلتصق مباشرة بمنطقة الإرتكاز وتحيط بها، وتشمل شرق روسيا في مناطقها الساحليّة لجهة المحيط الهادئ مقابل

[1] جاسم سلطان، مرجع سابق، ص 61.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 217، بتصرّف.

[3] الاستبس هو منطقة محددة جغرافيّا ومناخيّاً، تتميز بوجود سهول المراعي وعدم وجود أشجار.

اليابان، بالإضافة إلى المناطق الجنوبية للصين وشبه القارة الهندية وجنوب غرب آسيا مروراً بالشرق الأوسط في ناحيته الشرقية وصولاً إلى غرب القوقاز وتركيا وإيران والبلقان بالإضافة إلى كافّة أراضي أوروبا الغربية. [1]

بينما يتكون الهلال الخارجي من كافّة الأجزاء الباقية من العالم والتي لا تشملها منطقة الإرتكاز والهلال الداخلي (Rimland)، وبالتالي يدخل ضمنها شبه الجزيرة العربية وأفريقيا وأستراليا وأميركا الشمالية والجنوبية، بالإضافة إلى كافّة المسطحات المائية العالمية، بما فيها تلك التي تحيط بمنطقة الإرتكاز. ويعتقد ماكيندر أن حكم أكبر كتلة أرضيّة في العالم –يقصد بذلك منطقة الإرتكاز التي سُمّيت بقلب العالم– يمكن أن تُبنى عليه أُسس السيطرة العالمية، وأنّ القوة التي تنجح في حكم قلب العالم يمكنها أن تنافس القوى البحرية وتتغلّب عليها، كما اعتبر أنّ من يحكم شرق أوروبا يحكم منطقة الإرتكاز أي منطقة قلب العالم (Heartland)، ومن يحكم الهارتلاند يتحكّم في الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يحكم العالم. [2]

اعتبر ماكيندر أن سلاح الجو مفيد لصالح القوى البرية أكثر من القوى البحرية، وأنّ استخدام الطرق البحرية لا يمكن أن يتم إلا من خلال إشراف القوى البرية. إذ أنّ تاريخ العالم ليس إلا صراعاً بين القوى البرية والقوى البحرية، وأن السيادة ستكون في المستقبل للدول البرية[3]، لا سيما أن منطقة الهارتلاند ومحيطها تحتوي على كافّة المقوّمات اللازمة لنشوء دولة عظمى سواء لناحية الطبيعة الجغرافيّة والتضاريس والحصانة ضدّ الغزو الخارجي والموارد الطبيعية والبشريّة، فضلاً عن إشرافها على العديد من الأنهار والمسطحات المائية المهمة.

وبالتالي، فإنّ هذه الدولة العظمى تستطيع التماسك دون الحاجة إلى البحر، إذ أنها تستطيع الوصول إلى كافة مصادر القوة والموارد الموجودة فيها عبر شبكة المواصلات البرية دون الحاجة للإعتماد على طرق المواصلات البحرية، ما يجعلها أكثر قدرة على التحرك التجاري والإقتصادي والعسكري بشكل أسهل وبكلفة أقل من القوى البحرية. كما يعتقد ماكيندر أنّ قوى البحر التقليدية لا يمكنها تهديد المناطق العميقة في قلب العالم والمحصنة بالجبال والصحاري، وبالتالي فإنّ التفوق العسكري سيكون لصالح القوة البرية. [4]

---

[1] جاسم سلطان، مرجع سابق، ص 62، بتصرّف.

[2] عدنان صافي، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، د.ت.، ص 77، بتصرّف.

[3] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 220، بتصرّف.

[4] جاسم سلطان، مرجع سابق، ص 63–64، بتصرّف.

ب- ألفرد ماهان (A. Mahan) ونظرية القوّة البحرية:

على عكس ماكيندر، ذهب القائد البحري الأميركي، الأدميرال ألفرد ماهان إلى القول بأنّ مفتاح السيطرة العالمية سيكون بيد القوة البحرية. ويقصد ماهان بالقوة البحرية، تلك القوة العسكرية التي يمكن نقلها عبر البحر إلى المكان المطلوب، وليس فقط مجرد الأسطول البحري. وبالتالي فإنّ التحكّم في البحار يعني التحكّم بالقواعد البريّة التي تتميّز بمواقع استراتيجية تمكّنها من السيطرة على شبكة النقل البحري والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة، وعمق خلفيتها الأرضيّة من جهة ثانية.[1]

وتُعتبر نظرية ماهان حجر الأساس الذي قامت عليه الإستراتيجية البحرية الأميركيّة التي ركزّت على تعزيز قوة الأسطول البحري، بالإضافة إلى إقامة القواعد العسكرية البرية القريبة من البحر، خصوصاً تلك التي تشرف على مواقع استراتيجية هامّة تمكنها من التحكم في الممرات الملاحية المحورية التي تعتبر مفتاح خطوط المواصلات البحرية، بالإضافة إلى تعزيز القوات المسلحة البرية المؤهلة للنقل عبر البحر أو ما يُعرف بمشاة البحرية الأميركية (Marines).

ويحدد ماهان عدّة شروط لقيام قوة بحرية للدولة، منها[2]:

1. الموقع البحري: أي عدد البحار التي تطل عليها الدولة ومدى صلاحية هذه البحار للملاحة واتصالها بأعالي المحيطات، بالإضافة إلى مدى فعالية الموقع البحري في تمكين الدولة من السيطرة على أهم طرق المواصلات البحرية بغرض فرض سيطرتها على التجارة وتمكينها من صدّ أي عدوان بحري قد تتعرض له.
2. طبيعة سواحل الدولة: أي مدى كونها ذات تضاريس تمنحها حصانةً ضدّ الغزو الخارجي، مثل التعرجات والخلجان، ومدى كون هذه التضاريس صالحة لإنشاء الموانئ وعمق المياه التي تتصل بها، إضافة إلى أن طبيعة السواحل تلعب دوراً في تشجيع السكّان على ركوب البحر وجذبهم للإستقرار بجانب السواحل.
3. صفات ظهير الساحل: أي أراضي الدولة الواقعة خلف خط الساحل، فإذا كانت هذه الأراضي ذات مساحة كبيره وتتمتع بثروات طبيعية وفيرة تكفي لسد حاجة مجموع سكان الوحدة السياسية، تصبح هذه الأراضي عامل جذب للسكان نحو الداخل، وبذلك يكون التوجه الجغرافي للدولة داخلياً نحو اليابسة وليس نحو البحر،

[1] محمد رياض، مرجع سابق، ص 76، بتصرّف.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، 227.

حتى وإن كان موقعها بحرياً وتطل على سواحل طويلة، وفي حالة فقر الظهير بالموارد نوعاً ما فهذا يعمل على طرد السكان وتوجيههم نحو البحر للحصول على غذائهم وكسب معيشتهم اليومية، وهكذا تلعب صفات ظهير الساحل دوراً هامّا في تحديد طبيعة النشاط البحري للدولة.

4. مساحة الدولة وعدد سكانها: إن كثرة عدد السكان واتساع مساحة الدولة يلعبان دوراً مهماً في تحفيز الدولة لبناء قوة بحرية، كما أن كبر مساحة والدولة وإطلالتها على أكثر من بحر يزيد من احتمالات امتلاك الدولة للسواحل الطويلة والصالحة للملاحة.
5. الخصائص القومية للسكان: أي مدى ميل السكان لركوب البحر، حيث أنّ هذا الشرط يعد أساساً لإقامة صرح للتجارة البحرية الكفيلة بتجميع الثروات الضرورية لبناء القوة البحرية.
6. توجه السلطة الحاكمة: تلعب السلطة الحاكمة دوراً هامّاً في توجيه السكان وموارد الدولة نحو البحر لبناء قوة بحرية، ويعتمد ذلك أيضاً على مدى توفر الظروف الطبيعية والخصائص الإجتماعية التي يجب أن يمتاز بها سكان تلك الدولة.

ت- نيكولاس سبايكمان والهلال الداخلي: الخط الوسطي بين نظريّتي ماكيندر وماهان:

يمكن اعتبار سبايكمان خليفة ماهان في أفكاره المعاكسة لأفكار ماكيندر حول سيادة قلب العالم أو الهارتلاند، لكنه لا يتفق مع ماهان في سيادة القوة البحرية، حيث رأى سبايكمان أن الهلال الداخلي (Rimland) الذي يحيط بالهارتلاند هو الذي يمتلك مفتاح السيطرة العالميّة، إذ أنّ هذه الأراضي تتمتع بعدد كبير من السكان وهي غنية بالموارد والثروات، وتُطلّ على سواحل استراتيجية تمكنها من استخدام البحر بفعالية في التجارة والحرب.[1] من هنا برز مفهوم السيطرة على الهلال الداخلي كمفتاح للسيطرة على العالم، حيث يعتبر ماهان "أن الهلال الداخلي أهم من القلب وأنّ من يسيطر على الهلال الداخلي يسيطر على الجزيرة العالمية وأنّ من يسيطر على الجزيرة العالميّة يسيطر على العالم"[2].

ث- نظريّة القوّة الجوّية والهارتلاند الجديد:

ارتبطت نظريّة القوة الجوّية باسم الباحث الأميركي جورج رينير، حيث قدّم الأخير مقاربة جديدة لمسألة تقسيم العالم إلى مناطق متفاوتة الأهمية، حيث اعتبر رينير أنّ الطرق الجوّية قد ربطت بين الهارتلاند

[1] عدنان صافي، مرجع سابق، ص 101، بتصرّف.

[2] جاسم سلطان مرجع سابق، ص 66.

الأوراسي وهارتلاند آخر أصغر منه في أميركا الشماليّة. وبالتالي فإنّ تشكيلاً جديداً للهارتلاند بواسطة الطيران قد جعله يمتد من نصف الكرة الشمالي عبر القطب الشمالي ليشمل أيضاً منطقة أميركا الشمالية.

لكن هذا الهارتلاند الجديد يتّصف بأنّه مهدد بالخطر من إحدى القوتين اللتان تحتلانه، أي روسيا والولايات المتحدة، لكنّه يمكن أن يكون مفتاحاً للسيطرة العالمية لأنّه يتميّز بالقرب المكاني من بعضه بواسطة خطوط الطيران وإمكانيات النقل البرّي والبحري، وبذلك تتحول المنطقة القطبية الشمالية إلى بؤرة للحركة ومن ثمّ تصبح هذه المنطقة مفتاحاً للنفوذ العالمي.[1]

وترجع أولى هذه الأفكار إلى الطيار الروسي ألكسندر دي سيفيرسكي، حيث اعتبر الأخير أنّ منطقة تداخل السيادة الجوية لكل من أمريكا الشمالية والإتحاد السوفييتي هي منطقة مصيرية، ويمكن تحديد آراء دي سيفيرسكي على النحو التالي: "من يملك السيادة الجوية يسيطر على مناطق تداخل النفوذ، أي ما يُسمّى بمنطقة المصير، ومن يتحكّم بمنطقة المصير يسيطر على العالم".[2]

ولا يمكن قياس منطقة تداخل النفوذ الجوّي التي تحدّث عنها سيفيرسكي في الوقت الذي وضع فيه أفكاره على منطقة تداخل النفوذ الجوّي في وقتنا المعاصر، حيث كان يقصد سيفيرسكي بعبارة "منطقة المصير" المناطق التي تتداخل فيها قدرة الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفييتي معاً على ممارسة المناورات الجوّية وإيصال الصواريخ التقليديّة والإستراتيجيّة إليها. وهذا الأمر كان مرتبطاً بمدى تطور سلاح الجوّ وبرامج الصواريخ التقليدية والإستراتيجيّة لكلتا الدولتين في ذلك الوقت.

أمّا اليوم وبعد التطوّر الهائل الذي شهدته الصّناعات العسكرية الجوّية بشقّيها الدفاعي والهجومي، فضلاً عن دخول تكنولوجيا الأقمار الصناعية في صلب هذه الصناعات للتحكم في أنظمة الدفاع والهجوم الجوّي وتوجيه الصواريخ المتوسطة والطويلة المدى، جعلت من العالم بأكمله منطقةً لتداخل النّفوذ الجوّي بين الولايات المتحدة وروسيا، بالإضافة إلى عددٍ قليل من الدول التي تمتلك تكنولوجيا عسكرية جوية متقدمة.

ويشهدُ واقعنا المعاصر على أهميّة القوّة الجوّية ومدى تأثيرها في تحديد قوّة الدولة ومدى قدرتها على شنّ عمليات عسكرية خارج حدودها أو حتى على حماية أراضيها الداخليّة. خصوصاً "أن غزو الفضاء قد ساوى

[1] عدنان صافي، مرجع سابق، ص 104-105، بتصرّف.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 231.

بين اليابسة والبحر، لأنّ الفارق بين هذين المجالين ليس كبيراً بالنسبة للطائرات والصواريخ، كما بدّل تطوّر الطيران من نِسَب البُعد الكوني حيث جعل الأرض أصغر حجماً وجعل المسافات أقصر، ما جعل من تأثير العوامل الجيوبوليتيكية التقليدية مسألةً نسبيّةً إلى حدّ بعيد".[1]

ومع هذا، ورغم كون كل نظريّةٍ من النظريّات التي سبق مناقشتها تحمّل في طيّاتها الكثير من المنطق والدلائل العقليّة والتاريخيّة على أهميّة نوع القوّة الذي تتحدث عنه، فلا يمكن التسليم كلياً، بكون أيّ نظريّة من هذه النظريّات كافية وحدها –دون الأخرى– لصياغة نظريّة جيوبوليتيكية وافية ومتكاملة تستطيع أي دولة أن تبني استراتيجيتها الجيوبوليتيكية عليها بشكلٍ أساسيّ أو أن تحصُل من خلالها على خريطة طريق فعّالة وشاملة تضمن لها أفضل النتائج من تحركاتها الجيوبوليتيكية الحالية والمستقبليّة.

وإنّ الواقع الجيوبوليتيكي المُشاهد في وقتنا المُعاصر، يُثبت أنّ مفاتيح السيطرة العالميّة لا يمكن أن تنحصر في نوعٍ محدّد من القوّة دون النوع الآخر، أو في منطقة دون أخرى، وهذا لا ينفي كون بعض المناطق تتمتع بأهمية جيوبوليتيكية عاليةٍ أكثر من غيرها، إلّا أنّ المنطق العقلي والواقع المُشاهد يشكّل الدليل الأكبر على إنّه لا يمكن لأي منطقة بعينها –مهما بلغت من درجات الأهميّة الجيوبوليتيكة–، أن توفّر للدولة التي تسيطر عليها مفاتيح السيطرة على العالم بأسره.

وبالإسقاط على الواقع المعاصر، فإنّ روسيا القيصرية وبعدها الإتحاد السوفييتي قد توفر لهما نسبيا في السابق عامل السيطرة على قلب العالم (Heartland)، لكن هذا لم يمكنهما من السيطرة على العالم، حيث إنّ الامبراطورية اليابانية وامبراطوريّات غرب أوروبا بالإضافة إلى الامبراطورية العثمانية قد شكّلوا دائماً عاملاً منافساً أمام التوسّع الروسي. كما إنّ تمدد النفوذ الأميركي إلى أوروبا الغربيّة وبعض دول الشرق الأوسط وصولاً إلى دول الطوق الآسيوي كتركيا وباكستان وكوريا واليابان فيما عُرف بسياسة الإحتواء، قد شكّل حاجزاً أمام التوسّع السوفياتي، وهذا يدحض المنطق القائل بأن السيطرة على الهارتلاند يُشكل مفتاحاً للسيطرة العالمية.

كما إنّ الامبراطورية البريطانية كانت تحكم البحار بفعل امتلاكها أقوى أسطول بحريّ على الإطلاق، حيث كانت السيادة البريطانية على الأمواج أمراً مسلّماً به في المشهد السياسي العالمي لوقت طويل، ولم يمكنها ذلك من امتلاك زمام السيطرة العالمية، حيث كانت تنازعها العديد من الامبراطوريات ومنها الامبراطورية الروسية

[1] ألكسندر دوغين، مرجع سابق، ص 155.

والعثمانية واليابانية بالإضافة إلى الفرنسيين، على النفوذ في العديد من المناطق المهمّة استراتيجيّا في أوروبا والعالم.

كما إنّ التفوق العسكري للقوات الجوية الأميركية وامتلاكها لأحدث الطائرات وتكنولوجيا الدفاع الجوّي؛ على الرغم من أنّه أكسبها تفوقاً استراتيجياً على خصومها في مجال الجوّ، إلّا أنّ العديد من التجارب العسكريّة القديمة والحديثة كحرب فييتنام والحرب الكوريّة والحرب على أفغانستان والعراق، قد أثبتت بالفعل أنّ القوّة الجوّية لها تأثير كبير على سير المعارك، إلّا أنّ القدرة على استمرار السيطرة العسكرية على أرض الواقع تبقى أولاً وآخراً مرهونة بوجود قوّات بريّة تتحرّك بفعالية على أرض المعركة.

ولهذا، فإنّه من الضروري الإشارة إلى أنّ صياغة أساس منهجي تبني عليه أي دولة تحركاتها الجيوبوليتيكة، لا بد أن يكون شاملاً ومتضمناً لكافّة أنواع القوة العسكرية وغير العسكرية، بالإضافة إلى التقدير الواقعي للأهمية الجيوبوليتيكية للمناطق والممرات الجغرافية، ومن ثم إسقاط هذه الأسس على المقوّمات والطموحات التي تمتلكها الدولة الرامية إلى صياغة خطة جيوبوليتيكة فعّالة، بهدف تكييف الإمكانيات التي تمتلكها هذه الدولة مع الوقائع الجيوبوليتيكة والعسكرية الخاصة بها.

المطلب الثاني: عناصر قوّة الدولة وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي

إنّ العناصر التي تدخل ضمن عوامل قوة الدولة كثيرة ومتشعبة ولا يمكن حصرها فقط في المجال العسكري والمادي، لا سيما أن العصر الحديث قد شهد بروز العديد من المفاهيم الجديدة التي تؤثر على فعالية القوة المادية والملموسة التي تمتلكها الدول، وفيما يلي، سنحاول المرور على أهم العوامل التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في القوة الجيوبوليتيكية للدول، مع إسقاطها بشكلٍ موجز على الأقاليم والوحدات قيد الدراسة:

1- الموقع: إنّ مجرّد النظر إلى موقع أي دولة على الخريطة يمكن أن يخبرنا الكثير عن مزايا الدولة ومشكلاتها في آنٍ معاً؛ فالموقع الجغرافي يشكل عاملاً حاسماً في تحديد مدى قوّة الدولة وقدرتها على التفاعل في ميدان السياسة العالمية. وعلى سبيل المثال، فإنّ الدولة التي تقع بالقرب من المناطق والممرات الإستراتيجية، يمنحها موقعها مزايا عسكرية واقتصادية هائلة بسبب قدرتها على التحكم والتأثير في هذه الممرات، مثل

الإشراف المصري على قناة السويس والإشراف التركي على مضيقي البوسفور والدردانيل. كما إنّ موقع الدولة بالقرب من المناطق الإستراتيجية المهمة قد يجعلها حليفاً إستراتيجياً مرغوباً به من قبل العديد من الدول الأخرى، مثل موقع تركيا الجغرافي شكّل الحافز الأساسي لضمّها إلى حلف شمال الأطلسي.

كما أنّ وجود الدولة في موقع حبيس يوثر على قوتها وسيادتها في آنٍ معاً، حيث تعاني الدولة الحبيسة في العادة من مشكلات إسترتيجية بسبب موقعها الذي يجعلها مضطرة للإعتماد على الدول المجاورة في تجارتها الخارجية وتواصلها مع العالم الخارجي، مثل طاجيكستان على سبيل المثال. وفي بعض الأحيان يمكن أن يعطي الموقع الحبيس للدولة بعض المنَعة العسكرية ضد الغزو الخارجي، خاصةً إذا تضافر الموقع الحبيس مع وجود تضاريس وعرة، وقد بدا هذا جليّاً في الحالة الأفغانية.

كما إن موقع الدولة البعيد عن الخصوم ومصادر التهديد مثل موقع الولايات المتحدة بين محيطين عملاقين يمنح الدولة حصانة عسكرية ضد الغزو الخارجي، والعكس صحيح، حيث إنّ القرب الجغرافي من الخصوم يُشكّل خطراً على أمن الدولة، مثل حالة الموقع الجغرافي لتركيا القريب من اليونان وروسيا. علاوةً على ذلك، فإن موقع الدولة بالنسبة للبحار والممرات المائية يُعد من أهم العوامل التي تؤثر على المكانة الجيوبوليتيكية للدولة، فمع الأخذ بعين الاعتبار مدى صلاحية المياه للملاحة البحرية، تتمتع الدول التي تمتلك سواحل مُطلّة على البحار والمحيطات بسهولة التجارة الخارجيّة وسهولة حركة البضائع مع انخفاض كلفة النقل البحري مقارنة بوسائل النقل الأخرى، مما يعزز وضعها الاقتصادي، وينطبق هذا على السواحل التركية التي تساهم بشكل كبير في تنشيط التجارة الخارجية وتعزيز الوضع الإقتصادي التركي.

كما إنّ الدول الساحلية، يمكنها تطوير قوات بحرية قوية لحماية مصالحها الإقتصادية والدفاع عن أراضيها، ويمكن أن تكون هذه القوات نقطة انطلاق لهذه الدولة إلى مناطق نفوذ جديدة، مما يعزز من مكانتها على الصعيد الدولي. وقد توفر المياه أيضاً حاجزاً طبيعياً ضد الغزو الخارجي وتزيد الحصانة العسكرية للدولة إذا تضافرت معها عوامل أخرى مثل العمق المساحي ووجود قوات برية فعّالة على الأرض.

2- المساحة: تكمن أهم فوائد المساحة الكبيرة في كونها تعطي الدولة عمقاً دفاعياً ونوعاً من الحصانة العسكرية تجاه الغزوات الخارجية، لأنها تعطي الدولة الوقت الكافي لتحضير قوتها العسكرية والمناورة داخل حدودها للتصدي للغزاة، وأشهر مثال على ذلك هو حجم روسيا الذي حماها من الغزوات على مر التاريخ، وبالنسبة لتركيا التي هي موضوع الدراسة، فتبلغ مساحتها 783,562 كلم^2، أي يمكن اعتبارها دولةً متوسطة

المساحة[1]. بينما تكون الدول الصغيرة أكثر عرضة لسيطرة الغزاة عليها خلال فترات زمنية قصيرة، ومن الأمثلة على ذلك الكويت خلال حرب الخليج الثانية. كما إن المساحة الكبيرة أرجى أن تكون غنية بالموارد الطبيعية والمساحات الزراعية الشاسعة التي تساعد في الإستقرار الإقتصادي للدولة، كما إنها تُجنب الدولة مشكلة الضغط السكاني إذا كان هناك تنمية متوازنة وكانت معظم أراضي الدولة مناسبة للسكن.

3- الشكل: يؤثر شكل الدولة على استراتيجتها الدفاعية وقوتها العسكرية، حيث إنّ الدولة المتراصّة التي لا يفصل بين أقاليمها أي موانع جغرافية أو حدود أجنبية، والدول التي يكون شكلها متناسقاً وقريباً من الشكل المربع أو الدائري مع وجود عمق داخلي، تكون أكثر قدرة على الدفاع عن حدودها وسيادة أراضيها، وهذا ينطبق نسبياً على تركيا، فعلى الرغم من أنها تأخذ الشكل المستطيل نسبياً، لكن اتساع مساحتها من ناحية الطول والعرض يعطيها مزايا مشابهة لمزايا الشكل المربع والدائري. أمّا الدولة التي تأخذ أشكالاً أخرى مع عدم وجود عمق داخلي، تواجه صعوبة كبيرة في مسائل الأمن والإدارة والدفاع عن الحدود، مثل تشيلي على سبيل المثال، وكذلك الأمر بالنسبة للدول المجزأة التي تمتلك أقاليم جغرافية خارج حدود البر الرئيسي التابع لها كأذربيجان مثلاً.

4- المناخ: يساعد مناخ الدولة المعتدل على تعزيز اقتصادها وأمنها الغذائي، بينما يدفعها المناخ القاسي إلى البحث عن الموارد الزراعية خارج حدودها. قد يكون المناخ أيضاً عاملاً مؤثراً بشكل كبير في العمليات العسكرية حيث إنّ المناخ القاسي قد يُؤثر على سير العمليات العسكرية ويُعرقل حركة القوات والإمدادات، كما إن الثلوج والجليد أو الصحاري قد تشكل حاجزاً طبيعياً أمام الغزاة. وإنّ هذا التأثير المناخي على العمليات العسكرية قد يعمل تارةً بالسلب وتارةً بالإيجاب بالنسبة للدولة ذاتها.

فعلى سبيل المثال، شكّل المناخ القاسي لروسيا حاجزاً طبيعياً أمام محاولات الغزو الفرنسية والألمانية منذ عهد نابليون وحتى الحرب العالمية الثانية، بينما اختارت روسيا شهر فبراير لبدء عملياتها العسكرية في أوكرانيا لتجنب عرقلة المناخ لسير عملياتها العسكرية، وهو ما حدث بالفعل حين امتدت الحرب إلى فصل الشتاء. بالإضافة إلى ذلك، يُعدّ المناخ المعتدل عامل جذب للسكان سواء مواطني البلد أو المهاجرين،

[1] World Atlas, Turkey, Last Update: 24 February, 2021, Last Visit: 8 September 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/turkey).

ولهذا غالباً ما تكون المناطق المعتدلة كثيرة الكثافة السكانية، ومن المعروف أن كثرة عدد السكان في منطقة ما يجعلها حصينة ضد الغزو الخارجي أكثر من المناطق التي تكون قليلة عدد السكّان.

5- التضاريس: للتضاريس أثر كبير على الوضع الإقتصادي والسياسي والإجتماعي للدولة، فالتضاريس السهلة تُسهم في تحفيز النشاط الزراعي والتجاري وتجعل من عملية التنمية وبسط السيطرة الأمنية والإدارية أمراً أسهل بكثير من الحالة التي تكون فيها التضاريس وعرة. وفي الحالة التركية على سبيل المثال، تتنوع التضاريس بين الجبال والسهول، حيث تغلب الطبيعة الجبلية على المناطق الحدودية بينما تقع معظم السهول في المناطق الداخلية.[1] إلّا أن التأثير الأكبر للتضاريس لناحية انعكاسها على قوة الدولة يكمن في الجانب العسكري، حيث تشكّل التضاريس الوعرة كالصحاري والجبال حواجزاً طبيعية يصعب تجاوزها، مما يعزز من الحصانة العسكرية للدولة ويوفر لها خطوط دفاعٍ طبيعية ضدّ أي اعتداء خارجي على أراضيها.

ومن أشهر الأمثلة على ذلك طبيعة أفغانستان الوعرة المليئة بالجبال، والتي شكلت عاملاً هاماً في عدم تمكن أي دولة من السيطرة عليها عسكرياً، وقد تجلّى هذا الأمر بوضوح خلال محاولات الغزو البريطاني في القرن الماضي ومن ثم خلال الغزو السوفييتي والغزو الأميركي في العام 2001، والذي انتهى بانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان بعد حوالي عشرين عام من النزاع مع حركة طالبان. كما إنّ لمسألة التضاريس جانباً سلبياً يكمن في استخدام المناطق ذات التضاريس الصعبة كنقاط تموضع للحركات المسلحة المناوئة لسلطة الدولة المركزية مثل حالة جبهة البوليساريو في الصحراء الغربية للمغرب، وأيضاً كبعض التنظيمات الكردية المسلحة التي تتخذ من منطقة جبال قنديل الواقعة على المناطق الحدودية بين العراق وتركيا وإيران حِصناً لها.

6- الموارد الطبيعية: يلعب هذا النوع من الموارد دوراً هاماً في تحديد مدى استقلالية الدولة وقوتها الاقتصادية، والتي من شأنها أن تؤثر بشكل كبير على مكانة الدولة على صعيد العلاقات الدولية، حيث تلعب القوة الإقتصادية للدولة دوراً هاماً في تحديد قوتها العسكرية من حيث التأثير على مستوى الإنفاق على تسليح وتطوير القوات المسلحة، وتشمل هذا الموارد على سبيل المثال الموارد المعدنية، خاصةً المعادن الثمينة كالذهب، والمعادن التي تدخل في العديد من الصناعات، كالفضة والنحاس بالنسبة للصناعات الإلكترونية

[1] Topographic-map.com, Turkey Topographic Map, Last Update: No Date, Last Visit: 8 September 2024, (https://en-gb.topographic-map.com/map-j5gt/Turkey/).

والكهربائية والحديد بالنسبة للصناعات الثقيلة. وفي هذا الإطار، تشكل الموارد الطبيعية عنصراً محورياً في السياسات الخارجية التركية لا سيما في شرق المتوسط ووسط آسيا، نظراً لغنى هذه المناطق بمختلف أنواع الموارد التي سبق الحديث عنها.

حيث إنّ الوفرة في هذه المعادن تؤمن إكتفاءً ذاتياً للدولة من حيث تأمين العناصر اللازمة للصناعات المختلفة، لا سيما الصناعات العسكرية، بالإضافة إلى مصادر المياه والأراضي الزراعية والثروة السمكية والغابات والتي تلعب دوراً حاسماً في مسألة الأمن الغذائي، فضلاً عن مصادر الطاقة كالمواد الخام مثل النفط والغاز الطبيعي والفحم، و في عصرنا الحالي بدأت أنواع جديدة من الطاقة تؤخذ بعين الاعتبار نظراً لأهميتها المتزايدة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، كما إنّ الغنى بمصادر الطاقة المتنوعة يعطي الدولة موقعاً هامّاً وتأثيراً كبيراً على الساحة السياسية العالمية.

ويعتبر أمن الطاقة اليوم جزءاً لا يتجزء من استراتيجية الأمن القومي لأي دولة، لا سيما بعد الحرب الروسية الأوكرانية وإتهام الدول الغربية لروسيا باستخدام إمدادات الغاز الطبيعي كسلاح ضد الدول الأوروبية، خصوصاً أنّ الإعتماد الأوروبي على الغاز الروسي وضع القارّة بأكملها في وضع متأزم على الصعيدين الإقتصادي والإجتماعي بعد قيام روسيا بتقليص إمدادات الغاز الطبيعي الروسي التي كانت تذهب إلى القارة الأوروبية عبر خطوط الأنابيب المخصصة لنقل الغاز وأشهرها خطوط السيل الشمالي 1 و 2 أو ما يُعرف باسم (Nord Stream 1 و Nord stream 2).

7- الموارد البشرية: وهي أهم الموارد على الإطلاق وأكثرها تأثيراً على قوة الدولة، حيث إنّ السكّان (أو المواطنون) يشكلون ركناً أسياسياً لا وجود لكيان الدولة بدونه، فمنهم تتشكل القوة المنتجة العاملة في الإقتصاد الوطني ومنهم تتكون القوات المسلحة للدولة، وتختلف فاعلية الموارد البشرية بين دولة وأخرى باختلاف عدة عوامل مثل الفئات العمرية ومدى فتوّة المجتمع ومستوى التعليم العام ومعدل الإبتكار ومدى الإنفتاح على الهجرة والتجنيس للإستفادة من الأدمغة المهاجرة.

وتجدر الإشارة إلى أن التجانس الإثني واللغوي والديني يُساهم بشكل كبير في الحفاظ على وحدة الدولة في وجه الموجات الإنفصالية، كما إن وعي الشعب بهويته الوطنية يعزز انتماءه لدولته ويجعله أكثر عزماً على الإلتزام بسياسات الدولة وتقديم التضحيات التي من شأنها أن تساعد الدولة في تحقيق أهدافها.

8- موقع العاصمة: العاصمة هي قلب الدولة النابض، وهي مركز القرار السياسي والإداري والعسكري. وغالباً أيضاً ما تكون المركز الأساسي للنشاط الإقتصادي للدولة، حيث يلعب موقع العاصمة دوراً حاسماً في صيانة سيادة الدولة وصمودها في وجه الإعتداءات الخارجية، وحتى في حالات الحرب، يُعدّ بقاء العاصمة تحت السيطرة الوطنية، كمؤشرٍ على أن الدولة لا تزال قائمة وفي وضع يسمح لها بالمقاومة، حتى وإن كانت معظم أراضيها واقعة تحت سيطرة الغُزاة.

والعكس أيضاً صحيح، فإن سقوط العاصمة خلال أي غزو يعني سقوط الدولة ووقوعها تحت سيطرة الغزاة، حتى وإن كانت الغالبية العظمى من أراضي الدولة لا تزال تحت السيطرة الوطنية. و لهذا فإنّ تموضع العاصمة في مناطق إستراتيجية محمية جغرافياً يجعل الدولة أقل عرضة للتهديدات الخارجية والداخلية ويعزز استقرارها، بينما يُساهم وجود العاصمة في مواقع مكشوفة جغرافياً وغير محصنة في وضع الدولة في حالة حرجة من حيث الإستراتيجية الدفاعية وقد يُعرّض الدولة للسقوط السريع بيد الأعداء في حال تعرضها لغزو خارجي، وقد كانت هذه الإعتبارات أحد أهم الأسباب التي تم من أجلها نقل العاصمة من اسطنبول إلى أنقرة إبان تأسيس الجمهورية التركية في العام 1923.

9- شبكة المواصلات الداخلية والدولية: إذا كانت العاصمة تُمثّل قلب الدولة، فيمكن اعتبار شبكة المواصلات بمثابة الشرايين التي تصِل القلب بالأطراف، ففي حين أن العاصمة تقوم بتحديد السياسات الإدارية والإقتصادية والأمنية، تقوم شبكة المواصلات الداخلية بضخ هذه السياسات إلى الأقاليم الفرعية، حيث إنّ قدرة الحكومة المركزية المتواجدة في العاصمة على تطبيق قراراتها في كافة أقاليم الدولة مرهون بمدى قدرتها على نشر ممثليها في الأطراف، سواء كان هؤلاء الممثلون عبارة عن المؤسسات المدنية التابعة للدولة أو القوات العسكرية وقوات إنفاذ القانون.

وبالتالي فإن شبكة المواصلات تؤثّر بشكل كبير على قوة الدولة لأنها تشكل العامل الحاسم في مدى قدرة الحكومة المركزية على تنفيذ سياساتها في الأقاليم المتواجدة في الأطراف وبالتالي تسخير كافة الموارد المنتشرة في كافة الأقاليم لخدمة مصالح الدولة وأهدافها.

10- الحدود: تُعد الحدود بمثابة الغلاف الحيوي الذي يحيط بجسم الدولة ويحميها من العوامل الخارجية الضارّة، تماماً كما يفعل غلاف الخلايا الحية. فالحدود هي خط الدفاع الأول عن الدولة، حيث إن المسطحات المائية والحدود المحمية طبيعياً مثل الجبال الوعرة والبحار والصحاري توفر حصانة جغرافية

للدولة ضد الغزوات والتهديدات الخارجية. فعلى سبيل المثال ساهم موقع بريطانيا كجزيرة تحيطها المسطحات المائية على حمايتها من محاولات الغزو الخارجي على مر التاريخ، كما ساهمت الجبال الحدودية السويسرية بإقامة موانع طبيعية ضد أي محاولات لغزو سويسرا. أما في حال كانت الحدود غير محصنّة أو عبارة عن سهول، فإنها في هذه الحالة تكون بمثابة نقطة ضعف للدولة، ويتم النظر إليها على أنها ثغرة إستراتيجية في الأمن القومي للدولة.

وفي تركيا مثلاً، تختلف طبيعة الحدود من منطقة إلى أخرى، لكن بشكل عام، فإن غالبية المناطق الحدودية التركية تسودها الطبيعة الجبلية، خصوصا من ناحية الشرق والجنوب الشرقي، أما في الجهات الأخرى فتتنوع طبيعة هذه المناطق بين الجبال والسهول المحاطة بالمياه، إلا أن تركيا تعتبر جزر بحر إيجه الواقعة تحت السيادة اليونانية والقريبة جداً من البر التركي بمثابة أكثر المناطق الحدودية حساسيةً من الناحية الأمنية.

وهذه هي الحال بالنسبة للحدود الروسية الأوكرانية التي هي عبارة عن سهول شاسعة ولا وجود لأي موانع طبيعية فيها، ولذلك شكّلت مسألة الحدود الأوكرانية هاجساً أمنياً بالنسبة لروسيا طيلة السنوات الماضية، إلى أن وصل الحال إلى قيام روسيا بغزو أوكرانيا بحجة أن أوكرانيا ومعها الدول الغربية لم تمنح روسيا الضمانات الأمنية اللازمة بشأن عدم دخول أوكرانيا في حلف الناتو، وبالتالي جلب قوات الناتو إلى السهول الأوكرانية المحاذية للحدود الروسية المكشوفة أمنياً وجيوسياسياً بسبب الطبيعة السهلة لتلك المنطقة.

11- القوة الإقتصادية: بجانب تأثير القوة الإقتصادية على قدرة الدولة على الإنفاق على تعزيز قواتها المسلحة، تلعب القوة الإقتصادية دوراً مؤثراً في قوة الدولة من نواحٍ عدّة، لا سيما من حيث النفوذ الدولي، حيث يمكن للدولة أن تستخدم إمكانياتها الاقتصادية لتحقيق أهدافها السياسية عبر المساعدات الخارجية وضخ الإستثمارات في الدول الأخرى والتأثير في المنظمات الدولية عبر التمويل.

كما يوفر الإقتصاد القوي التمويل اللازم للإستثمار في البحث والتطوير الذي يساهم ليس فقط في دعم القطاعات الاقتصادية المختلفة، بل يساعد أيضاً في تطوير القدرات العسكرية والصناعية للدولة. كما تتمتع الدول القوية إقتصادياً عادةً بتأثير ثقافي واسع من خلال قدرتها على نشر وسائل الإعلام والفنون ومراكز الثقافة والتعليم التابعة لها.

12- المشهد السياسي: يشتمل المشهد السياسي للدولة على عناصر عديدة، من بينها الطموح السياسي الذي يعتبر حجر الأساس الذي يُحفز بناء قوة الدولة، حيث يوثر الأخير في رسم وتبني السياسات الخارجية التي تهدف إلى تحقيق أهداف وطموحات الدولة عبر استخدام كافة الوسائل المختلفة. كما يُساهم الإستقرار السياسي في خلق بيئة آمنة ومستقرة للنمو الإقتصادي والإجتماعي، وبالتالي يعزز من قدرة الحكومات على تنفيذ السياسات الخارجية والاقتصادية والعسكرية بفعالية، ويزيد من مرونة الدولة وقدرتها على الصمود في وجه الأزمات.

كما يحدد النظام السياسي خريطة التحالفات السياسية والعسكرية للدولة، التي تؤثر بشكل مباشر على قوتها ومكانتها في المجتمع الدولي وتمكّنها من الحصول على الدعم السياسي والعسكري عند الحاجة. فضلاً عن المشاركة الفعالة في المنظمات السياسية الدولية، الأمر الذي يمكن أن يمنح الدولة قدرة أكبر على التفاوض والتفاعل مع العناصر المكونة للمجتمع الدولي، ما يمنحها قدرة كبيرة على التأثير في هذه العناصر وبالتالي يعزز من مكانتها على الساحة الدولية.

وبالنسبة لتركيا، فإن الطموح السياسي بمد النفوذ التركي نحو الأقاليم التي كانت واقعة سابقاً تحت حكم السلطنة العثمانية، والذي تضافر مع فترة من الإستقرار النسبي في النخبة الحاكمة نتيجة استمرار حكم حزب العدالة والتنمية لأكثر من 20 عاماً، بالإضافة إلى استفادة تركيا في بعض الأحيان من موقعها كعضو في حلف شمال الأطلسي، قد شكل عاملاً من عوامل التحفيز للسياسات الخارجية التركية في تحقيق بعض أهدافها في مواقع مختلفة، وسنتناول هذه المسألة بشكل مفصّل في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

13- القدرات العسكرية: تلعب الإمكانيات العسكرية دوراً هاماً في قدرة الدولة على الحفاظ على أمنها واستقرارها الداخلي، فضلاً عن تعزيز الردع الخارجي والنفوذ الدولي في آنٍ معاً. حيث إن قوة الجيش وتقدمه التكنولوجي يمكن أن يُشكّل ردعاً فعالاً ضد أي أعمال عدائية ضد أراضي الدولة أو مصالحها في الخارج. كما إنّ القوة العسكرية تمنح الدولة قدرةً على التأثير في السياسات الدولية، أو حتى السياسات الداخلية للوحدات السياسية التي تستطيع هذه الدولة ممارسة نفوذها فيها، كما أنّ الدول القوية عسكرياً يمكنها التدخل لحماية نفوذها ومصالحها في المناطق الاستراتيجية الواقعة خارج حدودها، أو اللجوء إلى الخيارات العسكرية لدرء التهديدات التي قد تهدد أمنها القومي.

أمّا في حال امتلاك الدولة لقدرات نووية عسكرية فهذا يعزز من قدرتها على ردع أي هجمات عسكرية محتملة من دول أخرى، حيث يكون التهديد بالرد النووي في غالب الأحيان كافياً لدرء الإعتداءات الخارجية التي تُشكّل تهديدا وجودياً للدولة، كما إنّ امتلاك أي دولة للقدرات النووية يمنحها استقلالية في اتخاذ قراراتها الإستراتيجية دون الحاجة للإعتماد على دول أخرى للحماية، كما يمنحها قوة تفاوضية كبيرة في المحادثات الدولية، حيث يمكن استخدام القدرات النووية كوسيلة ضغط لتحقيق الأهداف بالطرق الدبلوماسية.

14- التقدّم التكنولوجي: إنّ التقدم التكنولوجي لم يعُد اليوم خياراً، بل أصبح ضرورةً لتحسين كفاءة وإنتاجية القطاعات الإقتصادية المختلفة، بما فيها قطاع الصناعات العسكرية، حيث تُعزز الإمكانيات التكنولوجية المتطورة من القدرات العسكرية للدولة عبر تمكينها من تطوير أسلحة وتقنيات متقدمة مثل الطائرات المقاتلة والطائرات بدون طيار والصواريخ الهجومية. ولهذا، تحظى مسألة التقدم التكنولوجي باهتمامٍ كبير من جانب تركيا، باعتبارها وسيلة لتعزيز القدرات العسكرية والإقتصادية التي تُشكّل حجر الأساس في قدرتها على ممارسة سياسات فعّالة لحماية مصالحها وتحقيق أهدافها الحالية والمستقبلية.

فإن تطوير أسلحة دفاعية متقدمة مثل أنظمة الدفاع الجوي والصاروخي يزيد من قدرة الدولة على حماية نفسها من التهديدات الخارجية ويعزز قدرتها على استخدام الوسائل العسكرية خارج حدودها لحماية مصالحها وتحقيق أهدافها القومية. كما تعتبر التكنولوجيا المتقدمة أداة لا غنى عنها لتعزيز القدرات الإستخباراتية للدولة من خلال تطوير أنظمة متطورة للمراقبة وجمع المعلومات وتحليل البيانات، حيث تلعب المعلومات الإستخباراتية دوراً حاسماً في رسم نتائج المعارك العسكرية والمسارات الدبلوماسية والتفاوضية.

بالإضافة إلى ذلك، تعتبر التكنولوجيا المتقدمة أداة الدفاع الوحيدة ضد نوع جديد من أنواع الإعتداءات والذي يُعرف باسم الهجمات السيبرانية، التي تستهدف الأنظمة والمواقع التابعة لبعض المؤسسات أو المنشآت الحساسة التابعة للدولة، حيث أصبح الأمن السيبراني جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجية الأمن القومي للعديد من الدول المتقدمة.

15- القوة الناعمة: تعتبر من أكثر الأدوات تأثيراً في السياسة الدولية، حيث إنّ القوة الناعمة تسمح للدولة بتحقيق أهدافها بوسائل أكثر سلاسة وفاعلية من استخدام القوة التقليدية التي تُعرف بالقوة الصلبة. ويشير مفهوم القوة الناعمة إلى قدرة دولة ما على التأثير على الآخرين ودفعهم بشكل إرادي لانتهاج سلوكيات تُسهم في تحقيق أهدافها دون الحاجة لاستخدام الإكراه أو الوسائل العنفية، بل بالاعتماد على الجاذبية والتأثير.

وتتكون القوة الناعمة من العديد من العناصر، منها عنصر الثقافة الذي يضم تحته عوامل التأثير المتعلقة بالهوية والقومية والإيديولوجيا والدين ونمط الحياة وفلسفة العيش، بالإضافة إلى بعض القيم السياسية المتعلقة بالديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان.

حيث تساعد كل هذه العوامل السابق ذكرها على التأثير على الرأي العام في الدول الأخرى وفي داخل الدولة نفسها، مما يساهم في دعم سياسات الدولة أو تقليل المعارضين لها، حيث يمكن للدول التي تمتلك قدراً أكبر من القوة الناعمة أن تلعب دوراً أكبر في تشكيل القواعد والمعايير الدولية، فضلاً عن كونها أكثر قدرة على الحفاظ على استقرارها الداخلي والتمدد نحو مناطق نفوذ خارجية لحماية مصالحها ومناطق نفوذها الواقعة خارج إقليمها الجغرافي.

وهذا ما يبرر إنفاق العديد من الدول أموالاً ضخمة على وسائل الإعلام والإتصال ووسائل الترفيه العابرة للحدود. وتعتبر هوليود على سبيل المثال، الذراع الأبرز للقوة الأميركية الناعمة. كما برز الإهتمام التركي بمفهوم القوة الناعمة عبر العديد من المظاهر التي تهدف إلى نشر الأفكار والثقافة واللغة التركية، عبر السلاسل التلفزيونية والأفلام السينمائية التي تتناول أفكاراً حول الروابط بين الشعوب المسلمة والروابط مع الشعوب التركية التي تسكن ما تُعرّفه تركيا بالعالم التركي، فضلاً عن المنح وبرامج التبادل الطلابي التي تقدمها الحكومة التركية لاستقطاب الفئات الشابة من هذه الشعوب، بالإضافة إلى انتشار المراكز الثقافية التركية في العديد من البلدان بهدف نشر اللغة والثقافة التركية.

أسس التخطيط الجيوبوليتيكي

بعد عرض مقاربة توضيحية لمفهوم الجيوبوليتييك وأبرز النظريات التي تُشكّل القاعدة التي ينطلق منها الفكر الجيوبوليتيكي، بالإضافة إلى إبراز أهم العوامل المؤثرة في القوة والمكانة الجيوبوليتيكية للدولة، يسلتزم التسلسل المنطقي أن يتم تناول هذه المفاهيم والمقاربات النظرية بشكل عملي لاستخلاص الخطوات والقواعد الأساسية التي يجب أن ينطلق منها التخطيط الجيوبوليتكي لأي دولة.

وبعد تحليل كل ما سبق وربطه ببعضه البعض، يمكن القول بأن عملية التخطيط الجيوبوليتيكي تنضوي على "تنسيق الموارد والإمكانيات مع الفرص والتهديدات الخارجية بهدف تحقيق أهداف طويلة المدى، مع

ضرورة الأخذ بعين الإعتبار لديناميكيات القوى الإقليمية والدولية لكي تكون عملية التخطيط فعالة."[1] أما عن مراحل العملية التخطيطية فيمكن إيجازها بالآتي:

1- تحليل واقع الدولة للتعرف على نقاط القوة والضعف الداخلية، وتحديد التهديدات أو الفرص الخارجية.

2- تشخيص المصالح والعقبات، وصياغة رؤية مستقبلية للتعامل معها بما يخدم مصلحة الدولة.

3- وضع قائمة أهداف تكون قابلة للتحقيق والقياس ومحصورة بإطار زمني قصير أو طويل الأمد.

4- تعيين الخطط والوسائل التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف التي سبق تحديدها.[2]

5- محاولة استشراف المستقبل لتقييم الخطط الموجودة ووضع خطط بديلة للتعامل مع أي طوارئ مستقبلية.

6- تقسيم الخطة العامة إلى خطوات مفصلة بشكل دقيق لتسهيل عملية التنفيذ وجعلها أكثر دقة.[3]

7- مراقبة عملية التنفيذ لتقييم فعاليتها ونتائجها بشكل مستمر وإستخلاص الدروس وتصحيح الأخطاء والثغرات.

8- التقييم المستمر للنتائج لوضع خطط فرعية بناءً عليها، بهدف الإنتقال إلى وسائل أكثر فاعلية لتحقيق الأهداف أو الإنتقال إلى أهداف جديدة مكملة لتلك التي تم تحقيقها بالفعل.

---

[1] George B., R. Huijbregts, M. Tiggelaar, L. Vandersmissen, S. Vanhengel, and B. Zaki, Strategic Planning: The Way Forward, Palgrave Macmillan, NewYork, 2022, P:5-7.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص 55، بتصرّف.

[3] George B., R. Huijbregts, M. Tiggelaar, L. Vandersmissen, S. Vanhengel, and B. Zaki, Op.Cit, P: 42.

المبحث الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لآسيا الوسطى وشرق المتوسط

إن عملية القيام بدراسة وتحليل طبيعة التفاعلات السياسية المرتبطة بالواقع الجيوبوليتيكي لأي إقليم جغرافي في العالم، لا يمكن أن تستقيم بدون معرفة وتحليل طبيعة وخصائص هذ الإقليم على مختلف الأصعدة السياسية والإقتصادية والجغرافية والإجتماعية والتاريخية، وغير ذلك من المجالات التي تؤثر بشكل مباشر على التفاعلات السياسية التي تحصل عادةً في هذا الإقليم.

وبعد أن قمنا في الفصل السابق بتفصيل العوامل التي تساهم بشكل مباشر في تحديد مدى قوة الدولة وقدرتها على الحفاظ على مصالحها، سواء داخل حدود إقليمها أو خارجه، بالإضافة إلى الأسس المنهجية التي يتم الإحتكام إليها عند القيام بعملية التخطيط الجيوبوليتيكي وبناء السياسات الخارجية، ستكون الخطوة التالية هي الدراسة المتعمقة لواقع الدول أو الأقاليم الجغرافية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بهذه الخطط والسياسات التي يجري العمل عليها.

وبما أن هذا البحث يتركز بشكل مباشر حول السياسات الجغرافية التركية تجاه إقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، سيتضمّن هذا الفصل استعراضاً وافياً ومفصّلاً للواقع الجيوبوليتيكي لتركيا وهذين الإقليمين بشكل عام، بالإضافة إلى تفصيل الواقع الجيوسياسي لكل وحدة من الوحدات السياسية المكونة لهذه الأقاليم، مع المرور على بعض الوقائع السياسية والتاريخية الهامّة التي قد تُساعد على فهم كيفية تشكّل هذه الوحدات على مرّ المراحل التاريخية، وبالتالي فهم طبيعة التفاعلات السياسية التي تجري داخلها، بالإضافة إلى تبيان العناصر التي تنطوي عليها الأهمية الإستراتيجية لكل وحدة من هذه الوحدات، مما يساعد على توضيح سبب اهتمام تركيا وغيرها من الفواعل الدولية بهذه الأقاليم على وجه الخصوص.

المطلب الأول: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي لآسيا الوسطى

يُقصد بإقليم آسيا الوسطى تلك المنطقة الشاسعة من السهوب والجبال التي تمتد من بحر قزوين غرباً إلى الصين شرقاً[1]. وهو عبارة عن الإقليم الجغرافي الذي يضم خمس وحدات سياسية تشمل كازاخستان وأوزبكستان

[1] Amed Rashid, Taliban: Islam, Oil, and the New Great Game in Central Asia, L'B Tauris & Co, New York, 2001, P: 3.

وتركمانستان وقيرغزستان بالإضافة إلى طاجكستان. كما تسمى هذه الدول الخمس أيضاً بتركستان الغربية، حيث أن تركستان الشرقية هي عبارة عن إقليم واقع في شرق الصين، ويُعرف باسم إقليم Xingiang أو إقليم الصين الجديدة[1].

يُعتبر الموقع الإستراتيجي لآسيا الوسطى عاملاً محفزاً لأهمية هذا الإقليم على جميع الأصعدة الإقتصادية والعسكرية والسياسية. كما يُعتبر هذا الإقليم ساحة ذات درجة عالية من السجال الجيوسياسي، حيث إن موقعه كمنطقة جغرافية تتوسط دول مهمة مثل الصين والهند وروسيا، قد جعله بمثابة منطقة عازلة معرّضة للكثير من الضغوط والتأثيرات[2]. وتشهد الوقائع التاريخية على تاريخ طويل من الصراع بين القوى الكبرى للسيطرة على هذا الإقليم.

كما يُعتبر هذا الإقليم أيضاً بمثابة صلة وصل بين الدول التي تمثل الحضارات الشرقية والغربية، وقد كان بمثابة جزءٍ مهم من طريق الحرير الصيني، وتجدر الإشارة إلى أن الصين حالياً لديها العديد من الطموحات والإهتمامات في آسيا الوسطى بسبب إستراتيجيتها التي تُعرف بمبادرة الحزام والطريق؛ بالإضافة إلى غنى المنطقة بالموارد النفطية والمعدنية، فضلاً عن كونها أرضاً خصبة منتجة للموارد الزراعية وغنية بالموارد المائية، إذ تحتوي هذه المنطقة على "ما يقرب من ستة آلاف نهر، بما فيها نهري أمودايا وسيرداريا العظيمين العابرين للحدود، بالإضافة إلى نهر آرال الذي يمثل موئلاً للملايين من الناس، كما تشكل هذه الأنهار مورداً أساسياً للزراعة المروية التي تعد شريان الحياة الإقتصادية للبلدان الخمسة المكونة لهذا الإقليم"[3].

كما كانت هذه المنطقة تاريخياً ساحةً للصراع التقليدي بين الأتراك والروس، ولطالما اعتبرها الإتحاد السوفييتي بمثابة حديقة خلفية لحماية القلب الرئيسي للإقليم السوفياتي، ثم تحولت بعد الحرب الباردة إلى منطقة صراع

---

[1] مصباح الله عبد الباقي، آسيا الوسطى والقوقاز: الأهمية الاستراتيجية والواقع السياسي والاجتماعي، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2013، ص: 2، بتصرّف.

[2] Alexander Cooley, Great Games, Local Rules the New Great Power Contest in Central Asia, Oxford University Press, New York, 2012, P: 4.

[3] المياه في آسيا الوسطى: شراكة دولية لتحسين التعاون في ميدان المياه وإدارتها في آسيا الوسطى، المركز الدولي للزراعة الملحية، د.ت.، د.م.، ص: 2.

على النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة، حيث إعتبرت الولايات المتحدة الأميركية هذا الإقليم بمثابة نقطة محورية لممارسة سياسة الإحتواء التي تهدف إلى حصر وتقليص النفوذ الروسي في الجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية. ولقد استمر الإهتمام الأميركي بهذه المنطقة إلى يومنا هذا، وتمّت ترجمته بوضوح من خلال التواجد العسكري المباشر في هذا الإقليم أو بالقرب منه، حيث يوجد في آسيا الوسطى قاعدتين عسكريتين أميركيتين هما "قاعدة كارشي خان آباد الجوية في جنوب أوزبكستان قرب الحدود مع طاجيكستان، بالإضافة إلى قاعدة ماناس الجوية شمال العاصمة القيرغيزية بيشيك".[1]

بالإضافة إلى ذلك، تحتوي هذه المناطق على احتياطات هائلة من النفط والغاز، فبحسب آخر إحصائيات شركة "آي دي آي أناليتيكس" (ADI Analytics) الأميركية المتخصصة في مجال النفط والغاز، بلغ إجمالي الإحتياطيات المؤكدة في دول آسيا الوسطى ما يقرب من 31.4 مليار برميل من النفط و825.8 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي في العام 2019. ويوجد ما يزيد قليلاً عن 95% من احتياطيات النفط و83% من احتياطيات الغاز الموجودة في المنطقة في كل من كازاخستان وتركمانستان على التوالي.[2]

وإن الواقع الجيوسياسي في هذه المنطقة يتأثر بعدة عوامل تاريخية وجغرافية وإقتصادية، بالإضافة إلى العامل الثقافي والديني، فضلاً عن التنافس بين القوى الإقليمية والدولية على النفوذ في هذا الإقليم الحيوي، حيث إنّ التفاعل بين هذه القوى التي تشمل عدة دول منها روسيا والصين والولايات المتحدة بالإضافة إلى تركيا، يُعد عاملاً حاسماً في تشكيل واقع هذه المنطقة على الصعيدين الحالي والمستقبلي.

ومما يزيد من أهمية هذه المنطقة في المشهد الجيوبوليتيكي العالمي، هو كونها من أهم منتجي الطاقة ومعبراً لمرورها من الشرق إلى الغرب، حيث يعد "خط أنابيب TAPI لبالغ قطره 56 إنشاً ويمر عبر تركمانستان وأفغانستان وباكستان والهند، بالإضافة إلى خط أنابيب الغاز Line D بقطر 48/42 إنشاً والذي يربط بين

---

[1] Council on Foreign Relations, 2005, Last Visit: July 2024, (https://www.cfr.org/backgrounder/asia-us-military-bases-central-asia).

[2] ADI Analytics, Regional spotlight: Oil & Gas in Central Asia, Last Visit: 14 July 2024, (Regional spotlight: Oil & Gas in Central Asia – ADI Analytics (adi-analytics.com).

تركمانستان والصين من أهم مشروعات خطوط الغاز قيد التنفيذ، إضافةً إلى ذلك، فإن أكثر من 20 بالمئة من إحتياطيات اليورانيوم المؤكدة في العالم موجودة في كازاخستان وأوزبكستان"[1]. كما تمتلك كازاخستان وحدها حوالي 45 بالمئة من احتياطيات الغاز في حوض بحر قزوين، بينما تمتلك تركمانستان حوالي 44 بالمئة وأذربيجان 10 بالمئة و2 بالمئة لروسيا.[2] وفيما يلي سيتم تفنيد بعض التفاصيل التي تساعد على فهم طبيعة المشهد السياسي والواقع الجيوبوليتيكي في كل وحدة من الوحدات السياسية المكونة لهذا الإقليم:

1- طاجيكستان:

هي دولة حبيسة وتُعد أصغر دولة في آسيا الوسطى بمساحة 143,100 كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالي 10 مليون نسمة. بالنسبة للواقع الجغرافي، تشكّل الجبال حوالي 93% من أراضي طاجيكستان، وهي تتوسط أربع دول هم الصين وقيرغيزستان وأوزبكستان وأفغانستان[3]. وبسبب كونها دولة حبيسة فهي تعتمد على الدول المجاورة لها ولا تستطيع الإستغناء عنهم وبالتالي يمكن القول أنّهم يتحكمون في مصيرها.[4]

بعد انهيار الإتحاد السوفييتي، بدأ الإستقطاب السياسي يتزايد بين مكونات المجتمع الطاجيكي، لا سيما بين الحزب الشيوعي الطاجيكي المؤيد للسوفيات والحركات القومية والإسلامية التي لعبت دوراً بارزاً في المشهد السياسي آنذاك، خصوصاً أن غالب الشعب الطاجيكي يعتنق الدين الإسلامي. وعلى إثر الصراعات الداخلية، تحول التوتر والإحتجاجات الشعبية التي اندلعت في العاصمة الطاجيكية دوشانبي إلى فترة طويلة من الصراع

[1] أحمد دهشان، من التعاون الإقليمي إلى الإطار العالمي: الخليج وآسيا الوسطى، مركز الدراسات العربية الأوراسية، آخر تحديث 23 تموز 2023، آخر زيارة: 24 تموز 2024، (https://eurasiaar.org/gulf-central-asia).

[2] Boris Najman, Richard Pomfret and Gaël Raballand, The Economics And Politics Of Oil In The Caspian Basin, Routledge, New York, 2008, P: 27.

[3] World Atlas, Tajikistan, Last Visit: 16 July 2024, (Tajikistan Maps & Facts - World Atlas).

[4] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص: 234، بتصرّف.

العنيف بين مكونات المجتمع الطاجيكي، حيث استمرت الحرب الأهلية في البلاد منذ بداية التسعينات، ثم انتهت رسميا في العام 1997 بعد توقيع اتفاق السلام والتفاهم على ترتيبات تقاسم السلطة[1].

وحالياً، يهيمن على المشهد السياسي في طاجيكستان نظام الحزب الواحد بقيادة الرئيس إمام علي رحمان الذي كان مقرباً من السوفيات، والذي يتولى السلطة منذ عام 1992. وعلى الرغم من غياب الممارسات الديمقراطية بشكل واضح، إلا أن هيمنة الرئيس الحالي على نظام الحكم في البلاد أدى إلى استقرار نسبي في الوضع السياسي خلال العقود الثلاثة الماضية.

2- تركمانستان:

هي واحدة من دول آسيا الوسطى، تحدها كازاخستان من الشمال الغربي وأوزبكستان من الشمال والشرق؛ ولها حدود مع أفغانستان لجهة الجنوب الشرقي؛ كما تحدها إيران من الجنوب والجنوب الغربي. تطل تركمانستان على بحر واحد فقط هو بحر قزوين، حيث تمتلك واجهة بحرية طويلة نسبياً في غرب البلاد. وتبلغ مساحة البلاد حوالي 469,930 كلم مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي 6 ملايين نسمة، 90 بالمئة منهم من المسلمين، بينما يُشكل المسيحيون حوالي 9 بالمئة أغلبهم من أصل روسي، وتعد مدينة عشق آباد هي العاصمة وأكبر مدن البلاد.[2]

أعلنت تركمانستان استقلالها عقب انهيار الإتحاد السوفييتي، وتم إجراء أول انتخابات رئاسية في البلاد، وباعتباره المرشح الوحيد حينها، حصل صابر مراد نيازوف الذي كان مقرباً من السوفيات على 98 بالمئة من الأصوات، وأصبح بذلك أول رئيس لتركماستان، واستمرت فترة حكمه حتى وفاته في عام 2006. أما عن طبيعة النظام السياسي في تركمانستان، فيسود نظام الحزب الواحد، وعلى الرغم من وجود حزبين إضافيين إلّا أنّهما لا يتمتعان

[1] Kirill Nourzhanov and Christian Bleuer, Tajikistan: A Political and Social History, ANU E Press, Canberra-Australia, 2013, P: 323-324.

[2] World Atlas, Last Update: November 13, 2023, Last Visit: July 17 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/turkmenistan).

بفعالية حقيقية على الصعيد السياسي، كما تسيطر الحكومة على كافة وسائل الإعلام وتدار غالب الصحف والوسائل الإعلامية من قبل منظمات رسمية مختلفة أو من جانب الحزب الديمقراطي الحاكم.[1]

بعد وفاة نيازوف في العام 2006، أصبح قربان قولي بيردي محمدوف رئيسا لتركمانستان، وفي العام 2022 تم إجراء إنتخابات رئاسية مبكرة فاز فيها سردار بردي محمدوف بنسبة 72 بالمائة من الأصوات.[2] وواصل الأخير اتباع نهج أسلافه في الحكم وإدارة المشهد السياسي في البلاد، حيث استمرت التوجهات الهادفة إلى موازنة العلاقات التركمانية بين روسيا والغرب عبر اتباع سياسة الحياد وتجنب الدخول في تحالف حقيقي سواء مع روسيا أو الغرب على حدٍّ سواء.

3- قيرغيزستان:

هي دولة حبيسة غير ساحلية في آسيا الوسطى، تشترك في حدودها مع كازاخستان من الشمال، وأوزبكستان من الغرب، كما تحدّها طاجيكستان من الجنوب والصين من الشرق. تبلغ المساحة الإجمالية للبلاد حوالي 199,45 كلم مربع، كما تُعتبر العاصمة بيشك أكبر مدن البلاد، وتمتاز قيرغيزستان بطبيعتها الجبلية وخصوبة أراضيها ووفرة المياه بسبب كثرة المسطحات المائية والأنهار، والتي تشكل أيضاً طرقاً للتجارة الداخلية والخارجية التي تمر عبر أراضي البلاد.[3]

يبلغ عدد السكّان حوالي ستة ونصف ملايين نسمة، يتكلم معظمهم اللغة القيرغيزية بشكل أساسي، كما تنتشر اللغة الأوزبكية –وهي إحدى اللغات التركية– بشكل واسع في البلاد، كما تُعتبر اللغة الروسية اللغة الرسمية

---

[1] Dilip Hiro, Inside Central Asia: A Political and Cultural History, Overlook Duckworth, New York, 2009, P: 199.

[2] Dilip Hiro, Ibid, P: 212-213.

[3] World Atlas, Kyrgyzstan, Last Updated: November 13, 2023, Last Visit: July 17 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/kyrgyzstan).

الثانية في جمهورية قيرغيزستان، ويُشكّل المسلمون حوالي 75 بالمئة من السكان، بينما يشكل المسيحيون حوالي 20 بالمائة من العدد الإجمالي لسكان البلاد.[1]

أعلنت قيرغيزستان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في 31 أغسطس 1991، وأصبح عسكر أكاييف المقرب من السوفيات أول رئيس للدولة، وكغيره من رؤساء جمهوريات آسيا الوسطى التي نالت استقلالها حديثاً عن الإتحاد السوفييتي، تفرد أكاييف بالسلطة في البلاد، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى العام 2005 الذي شهد اندلاع احتجاجات شعبية عارمة عُرفت بثورة التوليب، التي اضطر على إثرها أكاييف إلى الفرار خارج البلاد، ثم خلفه كرمانبك باكييف في سدة الحكم.[2]

إلّا أن وصول باكييف إلى سدة الحكم لم ينجح في ضبط الأوضاع السياسية والغضب الشعبي السائد في البلاد، حيث زاد توتر الوضع السياسي والإجتماعي في جمهورية قيرغيزستان وشاعت حالة من الفوضى وعدم الإستقرار في نظام الحكم، كما تمت الإطاحة بالرئيس كرمانبك باكييف ثم انتخب ألمازبيك أتامباييف رئيسا في العام 2011، وواجهت فترة ولايته انتقادات بسبب مزاعم الممارسات الإستبدادية، ثم صعد صدير جاباروف إلى السلطة في العام 2020 وسط استمرار تأرجح واضطراب الأوضاع السياسية في البلاد.[3]

4- أوزبكستان:

تحتل أوزبكستان مساحة قدرها 447 ألف كلم مربع في إقليم آسيا الوسطى، وهي دولة غير ساحلية تحدها خمس دول هي كازاخستان من الشمال، وقيرغيزستان من الشمال الشرقي وطاجيكستان من الجنوب الشرقي.

---

[1] World Atlas, Kyrgyzstan, Last Updated: November 13, 2023, Last Visit: July 17 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/kyrgyzstan).

[2] David Gullettea and John Heathershaw, The Affective Politics of Sovereignty: Reflecting on the 2010 Conflict in Kyrgyzstan, University of Central Asia and University of Exeter, No Place, 2010, P:2.

[3] Edward Allworth and Densi Sinor, "History of Kyrgyzstan", Britannica, Last Update: 16 July 2024, Last Visit: 28 July 2024, (Kyrgyzstan - Soviet Union, Central Asia, Nomadic | Britannica).

كما تحدها أفغانستان وتركمانستان من الجنوب والجنوب الغربي، ويبلغ عدد سكان البلاد حوالي 33 مليون و600 ألف نسمة وتعتبر مدينة طاشقند هي العاصمة وأهم مدن البلاد.[1]

يعتنق حوالي 92 بالمئة من سكان أوزبكستان الدين الإسلامي، بينما يُشكّل الأرثوذوكس حوالي 6 بالمئة من تعداد السكان، غالبهم من أصل روسي. كما تعتبر اللغة الأوزبكية هي لغة الدولة الرسمية ويتحدث بها حوالي 85% من السكان، وتجدر الإشارة إلى أنّ اللغة الأوزبكية هي إحدى اللغات التركية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة الأويغورية التي تعتبر بدورها فرعاً من عائلة اللغات التركية، كما تنتشر اللغة الروسية في العديد من المناطق الأوزبكية خصوصاً لدى الجماعات العرقية ذات الأصول الروسية.[2]

استقلت أوزبكستان عن الإتحاد السوفييتي في العام 1990، وجاء إسلام كريموف الذي كان يشغل منصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي لجمهورية أوزبكستان الإشتراكية إلى السلطة كأول رئيس لجمهورية أوزبكستان بعد الإستقلال. ولم يلبث كريموف أن انفصل عن الإتحاد السوفييتي حتى تحول موقفه تجاه الشيوعية، حيثُ أعلن الأخير بعد فترة وجيزة من الإستقلال أن أوزبكستان ستنتقل من الماضي السوفيتي الشمولي إلى اقتصاد السوق والديمقراطية[3]. وقد اعتبرت هذه التصريحات حينها بمثابة تلميحات لاستعداد الرئيس الأوزبكي لتعزيز التعاون وبناء علاقاتٍ أكثر عمقاً مع الغرب الليبرالي.

وكغيرها من دول آسيا الوسطى، غابت الممارسات الديمقراطية عن البلاد بشكل ملحوظ، كما لا تزال البلاد تتعرض حتى الآن إلى انتقادات من المجتمع الدولي حول مسألة الديمقراطية والتشكيك في نزاهة الإنتخابات، وتجدر الإشارة إلى أن كريموف استمر في سدة الحكم حتى وفاته في العام 2016، ثم خلفه شوكت ميرزاييف، الذي تعتبر طريقة إدارته للبلاد مشابهة بشكل كبير لطريقة سلفه كريموف، ولا يزال ميرزاييف في سدة الحكم حتى الآن.

---

[1] World Atlas, Uzbekistan, Last Update: March 7, 2023, Last Visit: July 18 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/uzbekistan).

[2] World Atlas, Uzbekistan, Last Update: March 7, 2023, Last Visit: July 18 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/uzbekistan).

[3] Wumaier Yilamu, Neoliberalism and Post-Soviet Transition Kazakhstan and Uzbekistan, Palgrave Macmillan, London, 2018, P:152-153.

5- كازاخستان:

تعتبر كازاخستان أهم دولة من دول آسيا الوسطى، فهي تاسع أكبر دولة من حيث المساحة وأكبر دولة حبيسة في العالم، كما إنّها بلد عابر للقارات، حيث تمتد مساحة كازاخستان من آسيا الوسطى إلى أوروبا الشرقية، وتحتل مساحة قدرها 2,724,900 كلم مربع، وتعتبر بذلك أكبر دولة في آسيا الوسطى من حيث المساحة. تتميز كازاخستان بموقع استراتيجي، حيث تحدها روسيا من الشمال والغرب، والصين من الشرق، ولها حدود مع كل من قيرغيزستان وأوزبكستان وتركمانستان في الجنوب، ويقع بحر آرال الغني بالموارد في جنوب كازاخستان، كما يمتد بحر قزوين على طول حدودها الغربية.[1]

يبلغ عدد سكان كازاخستان حوالي 19 مليون نسمة، حوالي 70 بالمئة منهم من المسلمين، بينما يشكل المسيحيون حوالي 26 بالمئة من مُجمل عدد السكان، وتمثل السهوب الكازاخستانية ما يقرب من ثلث مساحة البلاد. كما تتميز كازاخستان بطبيعتها الجبلية على طول حدودها الشرقية والجنوبية الشرقية، وبالتالي فهي تتمتع بحصانة عسكرية طبيعية، وتعتبر اللغتين الكازاخية والروسية اللغتين الرسميتين في البلاد.[2]

إستقلت كازاخستان عن الإتحاد السوفييتي في العام 1991 وأصبح نور سلطان نزاربايف، الذي كان السكرتير الأول للحزب الشيوعي الكازاخستاني، أول رئيسٍ للبلاد، واتسم عهد نزاربايف بالتفرد بالسلطة وغابت المعارضة السياسية عن المشهد السياسي. أعيد انتخاب نزاربايف عدة مرات مما عرّض العملية الإنتخابية في البلاد إلى انتقادات واسعة من طرف المجتمع الدولي لناحية غياب الشفافية والنزاهة، فضلاً عن استئثار نزاربييف بالسلطة لمدة تُقارب الثلاثين عاماً. وفي العام 2019، أعلن نور سلطان نزاربايف إستقالته من منصب رئيس البلاد، واحتفظ لنفسه بمنصب رئيس لجنة الأمن الوطني، وخلفه رئيس مجلس الشيوخ قاسم توكاييف كرئيسٍ للبلاد، والذي لا يزال في منصبه إلى وقتنا الحالي.[3]

---

[1] World Atlas, Kazakhstan, Last Updated: February 24, 2021, Last Visit: July 19 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/kazakhstan).

[2] المرجع نفسه.

[3] Wumaier Yilamu, Op.Cit, P: 151.

خلال بدايات حكم نزاربابيف، تم نقل العاصمة من مدينة ألماتي التي تُعد أكبر وأهم مدن البلاد إلى مدينة أستانا التي تم تغيير اسمها إلى نور سلطان. كما اتبعت كازاخستان بعد استقلالها سياسة خارجية مائلة إلى التوازن بين الشرق والغرب، إلّا أن روسيا احتفظت بدرجة كبيرة من النفوذ في البلاد، نظراً للأهمية الكبيرة التي تتمتع بها كازاخستان بالنسبة لروسيا من الناحتين الأمنية والإقتصادية.

وهكذا، نستنتج من خلال عرض السياق التاريخي لنشأة جمهوريات آسيا الوسطى، أن هناك العديد من العوامل المشتركة التي ساهمت في تشكيل المشهد السياسي في هذه الدول، حيث كانت أبرز هذه العوامل هي الفوضى السياسية في بدايات فترة الإستقلال، فضلا عن النفوذ الروسي الواسع وتفرد شخص واحد بزمام السلطة ومفاصل نظام الحكم في البلاد، وربما يعود إلى ذلك إلى كون هذه الدول لطالما كانت خاضعة لحكم خارجي، كان آخره القيصرية الروسية والإتحاد السوفياتي، وبالتالي ليس لديها تجربة سابقة في الحكم المستقل أو الممارسات الديمقراطية.

أمّا على الصعيد الخارجي، فقد تأثرت السياسات الخارجية لهذه البلدان بالعديد من العوامل، ومنها، أن انهيار الإتحاد السوفييتي حينها كان بمثابة مؤشر على فشل الشيوعية كنظام سياسي واجتماعي، وبالتالي أصبحت هناك قناعات بضرورة التوجه نحو تنمية العلاقات مع الدول الغربية الليبرالية باعتبارها البديل الأفضل، لكن بسبب وقوع هذه الدول تحت الحكم الروسي ثم السوفييتي لفترة طويلة، كانت رواسب الفكر الشيوعي والنفوذ الروسي لا تزال موجودة بقوة في المشهد السياسي والاجتماعي لهذه الدول.

وبالتالي لم يكن ممكناً لهذه الدول أن تتوجه بشكل جذري نحو الليبرالية، خصوصا أنها لم تكُن تفضل الإندماج بشكل كامل تحت المظلة الغربية الليبرالية؛ ولهذا "تبنت دول آسيا الوسطى سياسات خارجية متوازنة تجاه كل من روسيا والولايات المتحدة، مع الحفاظ أيضاً على علاقات متوازنة مع بعض الدول الإقليمية مثل الصين وتركيا وإيران".[1]

[1] Boris Najman, Richard Pomfret and Gaël Raballand, Op.Cit, P: 60.

وبالإضافة إلى الوحدات السياسية الرسمية، يُعد بحر قزوين المحاذي لإقليم لآسيا الوسطى نقطة محورية في النظام العالمي لفترة ما بعد الحرب الباردة، حيث يزداد التنافس بين القوى الكبرى على السيطرة على موارد الطاقة، إذ تتواجد في بحر قزوين احتياطاتٌ هائلة تُقدّر بحوالي 33 مليار برميل يتم استخراج ما بين 3 إلى 5 مليون برميل منها يومياً[1].

ومن العوامل المؤثرة أيضاً في رسم مسارات التنافس الدولي والإقليمي في هذ الإقليم هي المخاوف الصينية من حدوث موجات انفصالية من جانب عرقية الأويغور، وهي مجموعة سكانية ذات غالبية مسلمة ناطقة باللغة الأويغورية التي تعد من عائلة اللغات التركية، تقطن في إقليم تشينغيانغ غرب الصين. لهذا، فإن الصين تحاول الحفاظ على علاقات متينة قدر الإمكان مع الدول التركية المجاورة لهذا الإقليم بهدف تجنب قيام هذه الدول بدعم حركات انفصالية في اقليم تشينغيانغ أو تركستان الشرقية؛ لهذه الأسباب "بدأت الصين في العام 1999 بالتأكيد على حرصها على تنمية التجارة مع دول آسيا الوسطى كجزء من برنامج تنمية إقليم تشينغيانغ، كما طورت تعاونها مع كلٍّ من طاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان، نظراً لامتلاكهم حدوداً متاخمة لمقاطعة شينجيانغ الصينية".[2]

كما عملت الصين أيضاً على تطوير علاقاتها الإقتصادية مع كازاخستان، لا سيما من ناحية الإستثمار في مجال الطاقة، حيث يبلغ طول خط نقل الطاقة بين كازاخستان والصين حوالي 2798 كيلومتراً، وهو في المرتبة الرابعة في قائمة أطول خطوط أنابيب النفط عالمياً، ويُنظر إليه على أنه أول خط أنابيب لتصدير النفط الخام مباشرة إلى الصين من آسيا الوسطى.[3]

وفي ذات الإطار، عُقد في العام 2005 مؤتمر أعمال أميركي رفيع المستوى في العاصمة الطاجيكية دوشانبي، لمناقشة إقامة علاقات تجارية واستثمارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وطاجيكستان، وتعزيز التعاون بين

---

[1] أحمد مللي، التنافس الدولي على بحر قزوين، مجلة الدفاع الوطني، بيروت، 2014، العدد 69، ص: 47، بتصرّف.

[2] Lena Johnson, Tajikistan in the New Central Asia Geopolitics, LB. Tauris. & Co, New York, 2006, P: 86.

[3] الطاقة، أطول خطوط أنابيب النفط في العالم، آخر تحديث: 27-04-2023، آخر زيارة: 20-07-2024. (https://shorturl.at/7VLdy).

الشركات الأميركية والطاجيكية[1]. وبالتالي، يتّضح من خلال كافة المعطيات التي سبق ذكرها، أن إقليم آسيا الوسطى أصبح محوراً للتنافس بين الدول الكبرى والإقليمية، لا سيما روسيا والولايات المتحدة الأميركية والصين وتركيا، وأنّ مُخرجات هذا التنافس في هذه المنطقة سوف يكون لها أثر كبير في رسم التوازنات الجديدة التي سترسم واقع العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد قيد التشكّل.

المطلب الثاني: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي في شرق المتوسط

إنّ إقليم شرق المتوسط هو عبارة عن مجموعة الدول التي تشرف على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتشمل هذه الدول تركيا وسوريا وقبرص ولبنان وفلسطين المحتلّة، بالإضافة إلى مصر وليبيا واليونان. يتمتع هذا الإقليم بأهمية كبرى على جميع الأصعدة بلا استثناء، فعلى الصعيد المعنوي، يُعد هذا الإقليم مهداً لأقدم الحضارات، كالحضارة الفينيقية والمصرية، كما كان مهداً للشرائع السماوية، حيث يحتوي هذا الإقليم على العديد من الأماكن المقدسة بالنسبة للأديان السماوية الثلاث.

ولهذه الأسباب وغيرها، تصارعت القوى العالمية على مر التاريخ للسيطرة على هذا الإقليم، كما كان مسرحاً للحملات الصليبية والعديد من الصراعات التاريخية المهمة. أما في التاريخ الحديث، فقد كان محل طمع دول الإستعمار الأوروبي، حيث خضعت معظم دوله للإستعمار الفرنسي والبريطاني بعد انهيار السلطنة العثمانية التي كانت تحكم هذا الإقليم لقرونٍ من الزمن.

بالإضافة إلى ذلك، زادت أهمية منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط في العقود الثلاثة الأخيرة نتيجة الإكتشافات التي حصلت في مجال مصادر الطاقة الموجودة فيها، خصوصاً لجهة الإحتياطات الهائلة المكتشفة في شرق البحر المتوسط من الغاز الطبيعي الذي تزداد أهمتيه يوماً بعد يوم كمصدر للطاقة بدلاً عن مصادر الطاقة التقليدية والوقود الأحفوري، بسبب إنخفاض كلفة إستخراجه مقارنةً بمصادر الطاقة الأخرى، فضلاً عن كونه يعتبر من أهم مصادر الطاقة النظيفة نظراً لكونه منخفض الإنبعاثات مقارنة بغيره من مصادر الطاقة التي تُعد مصدراً لانبعاثات الغازات الدفيئة التي تتسبب في زيادة الإحتباس الحراري.

[1] Lena Johnson, Op.Cit, P: 84.

إذ تُعتبر مسألة الإحتباس الحراري اليوم من أهم المشاكل البيئية التي يسعى المجتمع الدولي إلى معالجتها، وقد أوصى خبراء الأمم المتحدة في آخر دروة من مؤتمر الأمم المتحدة المعني بتغير المناخ بضرورة إلتزام كل دول العالم باتخاذ وتنفيذ إجراءات فورية للحد من تأثير انبعاثات الغازات الدفيئة على درجة حرارة الأرض. حيث أدى حرق الوقود الأحفوري –مثل النفط التقليدي– إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض بمقدار 1.1 درجة مئوية فوق مستويات ما قبل العصر الصناعي. وقد أوصت الأمم المتحدة بضرورة خفض انبعاثات الغازات الدفيئة بنسبة 45 في المئة بحلول عام 2030 مقارنة بمستويات عام 2010، بالإضافة إلى تحقيق صافي انبعاثات عالمية صفرية بحلول عام 2050 والإنتقال من الوقود الأحفوري إلى مصادر الطاقة المتجددة[1]. ما يجعل التنافس على مصادر الطاقة النظيفة أكثر حدة من التنافس على تلك التقليدية منها.

وتحتوي منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وفق تقديرات هيئة المسح الجيولوجي الأميركية على 3400 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي.[2] وهذا يعني أن الدول المشاطئة لشرق المتوسط سوف تكون قادرة على لعب دور محوري في أسواق الطاقة العالمية خلال السنوات المقبلة، فضلاً عن الأرباح الإقتصادية التي ستجنيها من هذه الثروات. لكن استغلال هذه الإحتياطات الكبيرة بما يحقق مصالح هذه الدول يحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى التوصل إلى إتفاق يرضى به جميع الأطراف المعنية، لتسهيل عملية التنقيب واستخراج الغاز، خصوصاً لجهة حل الخلافات الواقعة بين تركيا واليونان وقبرص حول المناطق الإقتصادية الخالصة.

وبمعزل عن الأهمية الإقتصادية والإستراتيجية للموارد المكتشفة في شرق المتوسط، فإن هذا الإقليم يعتبر بمثابة الجسر الذي يصل قارات العالم القديم ببعضها سواءً من الناحية البرية أو البحرية، حيث يعتبر شرق المتوسط بمثابة البوابة للدخول إلى قناة السويس، التي تُعد من أهم الممرات المائية خصوصاً لناحية تسهيل التجارة العالمية بين أوروبا وآسيا وأفريقيا، بالإضافة إلى كونه ممراً لعبور العديد من السفن نحو مضيق باب المندب ومضيق

---

[1] الموقع الرسمي للأمم المتحدة، آخر زيارة: 14 تموز 2024، (https://news.un.org/ar/story/2023/11/1126472).

[2] مروان قبلان، اكتشافات الغاز الطبيعي شرق المتوسط: استشراف الفرص والتحديات الجيوسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2018، ص: 76، بتصرّف.

جبل طارق. وبالتالي فهو يتحكم بطرق الملاحة البحرية بين القارة الأوروبية ودول الشرق الأوسط وشرق آسيا وجنوب شرق آسيا.

كما يُشكّل هذا الإقليم منطقة عبورٍ استراتيجية بالنسبة لروسيا على وجه الخصوص، لكونه بوابتها الوحيدة إلى المياه الدولية، إذ لا سبيل للسفن الروسية التي تريد الخروج من البحر الأسود والوصول إلى أي وجهة في العالم، إلا أن تعبر من خلال شرق المتوسط بعد اجتيازها المضائق التركية. وهذا ما يفسر الحرص الروسي على التواجد عسكرياً بشكل مكثف على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط عبر القواعد العسكرية الروسية المتمركزة في الساحل السوري.

وعدا عن كون هذه القواعد العسكرية بمثابة نقطة إنطلاق للحلم الروسي بالحصول على موضع قدم في المياه الدافئة، فإنّها تُعتبر أيضاً بمثابة خط دفاع متقدم لروسيا في مواجهة القواعد العسكرية الغربية، خصوصاً تلك التابعة للولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي (NATO)، والتي تنتشر بكثافة في دول عدة في شرق المتوسط مثل قبرص واليونان وتركيا وفلسطين المحتلة.

وبسبب الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها هذه المنطقة على مختلف الأصعدة، يتميز المشهد الجيوسياسي فيها بكونه متقلباً بشكل كبير، نظراً للمنافسة الشديدة بين العديد من القوى الدولية والإقليمية للحصول على النفوذ أو تأمين مصالح لها في هذا الإقليم. وكما كان الحال عليه منذ التاريخ القديم، لا زال هذا الإقليم حتى يومنا هذا مركزاً للتنافس الدولي ومحط أنظار أي قوّة ناشئة تتطلع لتعزيز مكانتها في المشهد السياسي الدولي.

وإنّ أغلب المؤشرات تدل على أن هذه المنطقة ستكون بمثابة القلب الذي تنبض فيه عوامل النفوذ الدولي في المستقبل، وبالتالي فإنّ كل دولة تطمح إلى الحفاظ على مكانتها الدولية أو تعزيزها، أو حتى الدول الإقليمية التي تريد أن تمد نفوذها إلى خارج حدودها، سوف تُحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تجعل لها موضع قدم في هذه المنطقة، بهدف الحصول على مناطق نفوذ ذات أهمية إستراتيجية عالية للمساهمة في تعزيز نفوذها في الساحة السياسة العالمية.

وكمثال حيّ على ما سبق ذكره حول أهمية هذه المنطقة واحتدام الصراع الدولي عليها، فقد شكلت هذه المنطقة في التاريخ الحديث مسرحاً للعديد من المعارك المهمة في الحربين العالمتين الأولى والثانية. حيث وسّع الجيش

البريطاني عملياته العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى لتمتد من مصر إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتحديداً نحو الساحل الفلسطيني بهدف تقديم خطوط المواجهة مع الجيش العثماني الذي كان يتمركز بشكل كثيف في هذه المنطقة.

كما دافع العمثانيون عن وجودهم في شرق المتوسط بكافة الوسائل الممكنة، لا سيما خلال سلسلة معارك غزة الشهيرة التي حصلت بين الجيش العثماني ونظيره البريطاني بقيادة الجنرال البريطاني الشهير اللنبي، والتي انتهت بانسحاب العثمانيين من غزة وتراجعهم إلى خطوط خلفية، حيث أدّت خسارة العثمانيين لنقاط تواجدهم الإستراتيجية في شرق المتوسط إلى خسارتهم للعديد من المناطق المهمة.[1]

وبالإضافة إلى ذلك، حرص الجيش البريطاني على المحافظة على وجوده في مصر –خلال الفترة االمعروفة بالحماية البريطانية لمصر–، حيث تُعد السواحل المصرية من أهم النقاط الإستراتيجية في شرق المتوسط على الإطلاق، بينما حرصت فرنسا على تعزيز وجودها في سوريا ولبنان، إذ تتمتع هاتان الدولتان بساحل طويل يشكّل تقريباً الشريط الساحلي الأطول في شرق المتوسط والذي يمتد حتى السواحل العثمانية آنذاك.

وفي الحرب العالمية الثانية، قامت القوات الألمانية والإيطالية بمهاجمة السواحل المصرية المطلة على شرق المتوسط لقطع طرق الإمداد البريطانية التي تنطلق من الهند وتمر عبر البحر الأحمر ثم قناة السويس متجهة إلى مناطق النفوذ البريطانية في قبرص ومصر وفلسطين، كما هاجم سلاح الجو الألماني الساحل اللبناني وبخاصة مدينة بيروت التي كانت تعتبر أهم نقطة نفوذ للفرنسيين في شرق المتوسط.[2]

بعد تلك الفترة، شهدت فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها موجة تحرر عارمة في هذه المنطقة، حيث أدّت تداعيات الحرب وخسائرها إلى تراجع الإمكانيات العسكرية للدولتان اللتان كانتا تتمعان بسلطة الإنتداب على دول شرق المتوسط أي فرنسا وبريطانيا. فعلى الرغم من هزيمة دول المحور وانتصار جبهة الحلفاء التي تنتمي

---

[1] First World War, The 3rd Battle of Gaza, Last Update: August 22, 2009, Last Visit: 27 July 2024, (First World War.com – Battles – The Third Battle of Gaza, 1917).

[2] The National Army Museum, Second Battle of El Alamein, Last Visit: 27 July 2024, (Second Battle of El Alamein | National Army Museum (nam.ac.uk)).

لها دول الإنتداب، إلّا أنّه من ناحية المكاسب والخسائر فلم يكن هناك أي دولة أوروبية يمكن اعتبارها منتصرة بالمعنى الحقيقي. وبالتالي فقد أدى ذلك إلى تغير الخريطة السياسية في هذه المنطقة بشكل جذري، كما أدّى أيضاً إلى تغيير خريطة النفوذ والتوازنات التي تحكم المشهد السياسي في المنطقة كما سنُبيّن لاحقاً.

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وما تلاها من تغيرات على صعيد الساحة السياسية الدولية، التي شهدت صعود الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفييتي إلى قمة النظام العالمي الذي عُرف بالنظام الثُنائي القطب، تأثرت دول شرق المتوسط تماماً كغيرها من دول العالم بالتجاذبات السياسية وحالة الإستقطاب التي سادت في تلك الفترة.

حيث كانت دول شرق المتوسط أيضاً كغيرها من الدول، مسرحاً للصراع بالوكالة بين القطبين العالميين على أراضي الغير، والذي أُطلق عليه اصطلاحاً تسمية الحرب الباردة، التي لم تكن باردة بالفعل إلا بالنسبة لأراضي وشعوب الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي، حيث شهدت البلدان التي كانت مسرحاً لحروب الوكالة التي كانت تحدث بين القطبين –ومنها دول شرق المتوسط– حالة من غليان المشهد السياسي الناتجة عن التجاذب بين هذه الدول أو بين القوى المحلية الداخلية المدعومة من أحد هذين القطبين.

كانت هذه التجاذبات السياسية تُترجم في بعض الأحيان بتصاعد الصراعات الداخلية بين مكونات البلد الواحد الذين يتلقون الدعم من أحد هذين القطبين، والتي كانت تظهر من خلال الصراعات على السلطة والتي أدت في غالب الأحيان إلى حدوث الإنقلابات العسكرية أو الحروب الأهلية في بعض بلدان هذا الإقليم، أما على صعيد الصراعات البينية بين دول هذه المنطقة، فقد كانت هذه الصراعات تصل أحياناً إلى درجة النزاعات العسكرية والحروب الشاملة كما سنعرض لاحقاً.

كما كانت هذه المنطقة تدخل في صميم سياسة الإحتواء الأميركية تجاه السوفييت، كونها نقطة العبور الوحيدة للسوفييت تجاه المياه الدافئة والدول العربية الصديقة له كمصر وسوريا، لا سيما أنه كانت هناك اعتبارات سوفييتية بأن المصالح الإستراتيجية السوفييتية تكمن في العالم العربي، حيث لم يقدم العالم العربي النفط فحسب، بل قدم عمقا استراتيجيا للسوفييت، وقد بدأ الاختراق السوفيتي لشرق المتوسط عبر مصر، من خلال اتفاقية

الأسلحة التشيكية المصرية لإمداد مصر بما قيمته 83 مليون دولار من الأسلحة السوفيتية الحديثة عبر تشيكوسلوفاكيا".[1]

لهذه الأسباب، فإنّ عملية القيام بتحليل الواقع الجيوبوليتيكي لهذه المنطقة المعقدة والمتشابكة، يستوجب الإلمام ببعض المعلومات الأساسية حول الأوضاع السياسية والجيوسياسية القائمة في هذه البلدان، بهدف تكوين صورة واضحة وشاملة عن التفاعلات السائدة فيها؛ لهذا سنقوم فيما يلي بعرض أهم العناصر والأحداث التي ساعدت على تشكيل المشهد السياسي في هذه الدول من خلال تناولها في سياقها التاريخي وبُعدها الإقليمي والعالمي:

1- سوريا:

بعد نهاية الإنتداب الفرنسي على سوريا في العام 1946، لم تستمر الحياة الديمقراطية القائمة على النظام البرلماني طويلاً، حيث شهد العام 1949 ثلاث انقلابات عسكرية متتالية بدأت مع إنقلاب حسني الزعيم، ثم دخلت البلاد بعد ذلك في سلسلة من الإنقلابات العسكرية، كما خاضت سوريا تجربة الوحدة مع مصر في العام 1958 ثم انتهت إثر انقلاب عسكري آخر في العام 1961.

وبعد عامين فقط، قامت اللجنة العسكرية لحزب البعث العربي الإشتراكي بالإستيلاء على السلطة عبر انقلابٍ عسكري في الثامن من آذار من العام 1963، وعلى إثر ذلك تم تعيين حافظ الأسد وزيراً للدفاع، وفي العام 1970 قاد الأخير انقلاباً داخلياً عُرف باسم "الحركة التصحيحة"، ليصبح الأسد الأب رئيساً لسوريا منذ ذلك الوقت حتى وفاته في العام 2000[2]. ثم خلفه ابنه بشار الأسد بعد أن تم تعديل الدستور السوري لخفض سن الرئيس لكي يتمكن الأسد الإبن من خلافة والده في سُدة الرئاسة.

بعد الإستقلال، حاول صنّاع القرار في سوريا موازنة العلاقات بين الشرق والغرب بهدف الخروج من دائرة النفوذ الغربي بعد نهاية الإنتداب الفرنسي، وإتّسمت فترة حكم الأسد الأب، الذي كان يتزعم الفرع السوري لحزب البعث

---

[1] Joseph Heller, The United States, The Soviet Union and The Arab–Israeli Conflict, 1948–67, Manchester University Press, Manchester, 2016, P: 1.

[2] Joseph Heller, Op.Cit, P: 211.

العربي الإشتراكي، بعلاقات ممتازة مع السوفييت على جميع الأصعدة الدبلوماسية والإقتصادية والعسكرية، حيث كان الإتحاد السوفياتي يأخذ على عاتقه مهمّة دعم الحركات الإشتراكية والقومية حول العالم.[1]

كما برز التعاون بين البلدين في العديد من المجالات، خصوصاً في المجال العسكري، عبر تقديم إمدادات الأسلحة وإيفاد المستشارين العسكريين السوفيات إلى سوريا، لا سيما خلال فترة الحروب العربية–الإسرائيلية، خصوصاً حرب العام 1973 التي خاضتها سوريا إلى جانب مصر ضد إسرائيل، كما تمّ إنشاء قاعدة عسكرية سوفياتية في مدينة طرطوس السورية التي يطل ساحلها على ساحل الحوض الشرقي للبحر المتوسط.[2]

وبعد تفكك الإتحاد السوفييتي، استمرت العلاقات المتينة بين سوريا وروسيا التي اعتُبرت وريثة الإتحاد السوفييتي، حيث أصبحت روسيا الشريك الأساسي لسوريا على الصعيد العسكري، وقد تمت ترجمة هذه العلاقات الوثيقة من خلال التدخل العسكري الروسي لدعم حكومة الأسد بعد الأحداث التي بدأت في سوريا في العام 2011، وبقيت روسيا تتمتع بنفوذ عسكري واسع في سوريا بفضل هذا التدخل حتى سقوط نظام الأسد الإبن في الثامن من كانون الأول من العام 2024. أمّا في عهد النظام الجديد، فلا تزال روسيا تحتفظ بقواعدها العسكرية في الساحل السوري، على الرغم الضبابية الشديدة التي تخيّم على طبيعة مستقبل العلاقات السورية–الروسية في مرحلة سوريا ما بعد الأسد.

كما إنّ الدعم العسكري الإيراني لحكومة الأسد منذ العام 2011 قد أعاد تعريف العلاقات السورية الإيرانية خلال عهد الأسد الإبن، جاعلاً من إيران شريكاً رئيسيا لسوريا تحت حكم الأسد. إلّا أنّ تغير النظام وانتقاله إلى الفصائل السورية المدعومة من الجانب التركي قد أدّى بشكل كبير إلى تلاشي النفوذ الإيراني في سوريا. كما تتمتع الجماعات الكردية المسلحة المعروفة بوحدات حماية الشعب YPG وقوات سوريا الديمقراطية ببعض النفوذ في مناطق استراتيجية من البلاد مثل بعض أجزاء محافظة الحسكة شرقي سوريا والتي تحتوي على معظم آبار النفط السورية، بالإضافة إلى بعض المناطق المحاذية للحدود التركية مثل مدينة عين العرب كوباني.

[1] Raymond Hinnebusch, The International Politics of the Middle East, Manchester University Press, 2003, P: 185-186.

[2] Raymond Hinnebusch, Ibid, P:185-186.

كما تواجدت تركيا عسكرياً بشكل مباشر في الشمال السوري خلال عهد الأسد، إثر قيامها بثلاث عمليات عسكرية في الداخل السوري ضد الجماعات الكردية المسلحة التابعة لحزب الإتحاد الديمقراطي، الذي تعتبره تركيا النسخة السورية لحزب العمال الكردستاني الذي تصنفه تركيا على أنّه جماعة إرهابية.

وإستكمالاً لتعقيدات المشهد الجيوسياسي السوري، تتمركز الولايات المتحدة الأميركية في البلاد في قاعدة التنف العسكرية التي تقع عند المثلث الحدودي السوري العراقي الأردني، حيث كانت الأهداف المعلنة لدخول الولايات المتحدة الأميركية إلى سوريا تتمحور حول محاربة تنظيم داعش. واليوم تتمتع الولايات المتحدة الأميركية بنفوذ جيوسياسي كبير في سوريا نتيجةً لتواجدها العسكري المباشر في الجنوب السوري، بالإضافة إلى علاقاتها الممتازة مع بعض الفواعل من غير الدول المدعومة أميركياً في الداخل السوري، لا سيما الوحدات المسلحة الكردية المتمركزة في شمال سوريا.[1]

2- لبنان وفلسطين:

بالنسبة للبنان، فالمشهد الجيوسياسي متقلب أيضاً، لكن بشكل عام تمتلك العديد من الدول الأجنبية تأثيراً كبيراً عليه، لا سيما فرنسا وإيران والولايات المتحدة الأميركية بفضل علاقاتهم مع الأحزاب السياسية اللبنانية وقادتها. أما في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فالتأثير الجيوسياسي لصالح الولايات المتحدة الأميركية نظراً للعلاقات القوية التي تجمع بينها وبين مختلف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

3- مصر

شهدت مصر بعد إطاحة الجيش بالملك فاروق في العام 1952 وخروج الجيش الإنكليزي منها تحولات عديدة على صعيد سياستها الخارجية، لا سيما في ظل الحرب الباردة، ففي حين أنّ الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر كان من قادة ومؤسسي حركة دول عدم الإنحياز، إلّا أن الدعم الإقتصادي والعسكري السوفييتي

[1] Global Security, Al Tanf Garrison, Last Update: 2 August 2018, Last Visit: 27 July 2024, (US Bases in Syria (globalsecurity.org)).

لمصر خصوصاً خلال حروبها مع الكيان الإسرائيلي، جعل من مصر جزءاً من المحور الاشتراكي في مواجهة النفوذ الغربي في المنطقة.

وبعد وفاة عبد الناصر، شهدت العلاقات السوفياتية المصرية انحداراً ملحوظاً خلال عهد خَلَفِه أنور السادات، وبدا ذلك واضحاً في واقعة طرد المستشارين العسكريين السوفييت من مصر قبل حرب العام 1973. كما اتّبع السادات سياسة الإنفتاح الإقتصادي والتوجه نحو اقتصاد السوق، في مناقضة واضحة للسياسات الإشتراكية التي تبلورت في عهد عبد الناصر.

وحتى يومنا هذا، لا تزال مصر تحاول قدر الإمكان موازنة سياستها الخارجية بين روسيا والولايات المتحدة، لكن قراءة الأوضاع العامة في مصر تُظهر رجاحة كفّة الولايات المتحدة الأميركية لأسباب عديدة أهمها العامل الإقتصادي، حيث إن الديون المرتفعة والأزمات التي يعاني منها الإقتصاد المصري قد مكنت المؤسسات النقدية الدولية التابعة للغرب من زيادة نفوذها في مصر، بالإضافة إلى الدعم المادي والعسكري الكبير الذي تقدمه الولايات المتحدة للجيش المصري الذي يملك نفوذا كبيراً في الحياة السياسية في البلاد.

4- ليبيا:

استقلت ليبيا من الإحتلال الإيطالي في العام 1951 وحمكها الملك إدريس السنوني منذ الإستقلال وحتى انقلاب القذافي في العام 1961 –أو ما عُرف بثورة الفاتح-. عاشت البلاد خلال عهد القذافي في حالة من العزلة الدولية نتيجة السياسات الخارجية التي انتهجها الأخير، لا سيما لجهة المزاعم الغربية بسعي ليبيا لحيازة أسلحة دمار شامل، ودعم بعض الجماعات التي يصنفها الغرب على أنّها جماعات إرهابية والإنخراط في دعم النشاطات المزعزعة للإستقرار في بعض الدول الإفريقية.[1]

وخلال فترة الحرب الباردة، أصبحت ليبيا بقيادة معمر القذافي زبوناً للسلاح السوفييتي منذ السبعينيات، حيث تم في تلك الفترة توقيع أول عقد هام للتسليح بين البلدين، وقد تواجد بين 1973 و1982 ما يقارب الإحدى

[1] Dirk Vandewalle, A History of Modern Libya, Cambridge University Press, New York, 2nd ed, 2012, P: 130.

عشر ألف مستشار عسكري سوفييتي لمساعدة الجيش الليبي على استعمال السلاح الذي يرسله السوفيات[1]، واستمر حكم القذافي حتى العام 2011 الذي شهد اندلاع احتجاجات شعبية مناهضة لحكمه، كما قام حلف شمال الأطلسي بالتدخل عسكرياً في ليبيا بحجة دعم حركة الإحتجاجات الشعبية والإطاحة بالقذافي، لتدخل البلاد بعد ذلك في حالة من الفوضى والصراع بين المكونات الليبية الداخلية المدعومة من أطراف خارجية، ولهذه الأسباب، تتمتع عدة قوى خارجية بنفوذ كبير في ليبيا، لا سيما روسيا وتركيا بسبب دعمهم لبعض أطراف النزاع.

حيث تقدّم تركيا دعماً بارزاً لا سيما في المجال العسكري لحكومة الوفاق الوطني المتمركزة في العاصمة الليبية طرابلس، والتي تسيطر نسبياً على غرب البلاد، بينما تدعم روسيا خليفة حفتر الذي يقود ما يُعرف بالجيش الوطني الليبي المُتمركز في غرب ليبيا، حيث "تجد روسيا أن حفتر هو الرجل القوي في الجزء الشرقي من البلاد، وبالتالي هو الشريك الذي يمكن التعويل عليه والذي كانت تفتقده روسيا في ليبيا ما بعد القذافي"[2].

5- اليونان:

تحتل اليونان مساحة تبلغ حوالي 130 ألف و647 كلم مربع من الجزء الجنوبي لشبه جزيرة البلقان الواقعة في جنوب شرق القارة الأوروبية وتمتد إلى بحر إيجه، تُطلّ اليونان على البحر الكريتي والبحر الأيوني والبحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى البحر التراقي، وتمتلك ما يقرب من 1500 جزيرة منتشرة في هذه البحار. وتتقاطع حدود اليونان مع كل من مقدونيا الشمالية وبلغاريا في الشمال، وألبانيا في الشمال الغربي، كما تحدّها تركيا لجهة الجنوب الشرقي. وإنّ موقع البلاد عند تقاطع القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا يعطيها أهمية إستراتيجية كبيرة على مختلف الأصعدة لا سيما من الناحية الإقتصادية والأمنية.[3]

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عاشت اليونان حرباً أهلية بين قوات الحزب الشيوعي اليوناني المدعوم من الإتحاد السوفييتي وبين القوات الحكومية المدعومة من الغرب وخصوصاً بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية.

---

[1] إيغور دولانويه، ليبيا: الورقة الروسية الجديدة، أوريان 21، آخر تحديث 23 شباط 2023، آخر زيارة: آخر زيارة: 24 تموز 2024، (https://orientxxi.info/magazine/article1731)، بتصرّف.

[2] المرجع نفسه.

[3] World Atlas, Greece, Last Update: 24 February 2021, Last Visit: 27 July 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/greece).

وفي العام 1949 تمكّنت القوات الحكومية من هزيمة القوات الشيوعية، وانتهت بذلك الحرب الأهلية، لتدخل اليونان بعدها في المعسكر الغربي عبر انضمامها إلى حلف شمال الأطلسي في العام 1952.[1]

وفي العام 1967، شهدت اليونان انقلاباً عسكرياً بقيادة مجموعة من الضباط اليمينيين (القوميين الأرذوثوكس)، والذي أصبح يُسمّى فيما بعد بانقلاب العقداء، وعاشت اليونان خلال فترة الحكم العسكري حالةً من العنف والقمع والتنكيل بالمعارضين، كما ساهم النظام العسكري اليوناني خلال تلك الفترة بتأجيج التوتر في جزيرة قبرص التي كانت تُحكم بموجب دستور يقسم السلطات بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك، حيث تم تحريض القبارصة اليونايين على الإنقلاب على الرئيس القبرصي اليوناني مكاريوس، بهدف تحقيق سيطرة القبارصة اليونانيين على الجزيرة بشكل كامل ومن ثم تحقيق الوحدة مع اليونان.[2]

لكنّ محاولة الإنقلاب من جانب القبارصة اليونانيين أدت إلى وقوع أعمال عنف في الجزيرة انتهت بقيام القوات التركية بالتدخل العسكري في شمال قبرص في العام 1974 لصالح القبارصة الأتراك، وتم بعد ذلك الإعلان عن تأسيس جمهورية شمال قبرص التركية المعترف بها فقط من الجانب التركي. وعلى إثر فشل المحاولة الإنقلابية المدعومة من اليونان وتسببها بوقوع شمال قبرص تحت السيطرة التركية، اندلعت الفوضى والإحتجاجات في اليونان وانهار على إثر ذلك النظام العسكري وتمت محاكمة قادة الإنقلاب، ثم جرى بعد ذلك تأسيس نظام حكم برلماني لا زال يُعمل به إلى يومنا هذا. كما تجدر الإشارة إلى أن اليونان سحبت قواتها من هيكل القيادة العسكرية للناتو في العام 1974 نتيجة توتر العلاقات التركية اليونانية بعد الغزو التركي لشمال قبرص وعدم اتخاذ حلف الناتو أي تدابير عسكرية حازمة ضدّ تركيا.[3]

وبعد سنوات قليلة، عاودت القوات اليونانية أدراجها إلى هيكل القوات العسكرية لحلف شمال الأطلسي في العام 1980، على الرغم من عدم إحراز أي تقدم في جهود حلّ المسألة القبرصية. كما لا تزال العلاقات بين تركيا

---

[1] Stathis N. Kalyvas, Modern Greece: What Everyone Needs to Know, Oxford University Press, London, 2015, P: 84-85.

[2] Ibid, P:110.

[3] Ibid, P: 109-110.

واليونان، الدولتين الحليفتين في حلف شمال الأطلسي، وبين الدول الأعضاء في الحلف، تتأثر بشكل كبير بالمسألة القبرصية حتى يومنا هذا. كما أنّه من الجدير بالذكر، أنه وعلى الرغم من أن أغلب الجزر اليونانية، بما فيها تلك القريبة من تركيا هي جزر منزوعة السلاح، إلّا أن سيادة اليونان على أرخبيل الجزر المنتشر حول السواحل التركية، خصوصاً تلك الجزر الواقعة في البحر المتوسط وبحر إيجة، يعطي اليونان سيطرة إستراتيجية على مواقع متقدمة بعيداً عن سواحلها، مما يوفر لها عمق عسكري ودفاعي، وفي الوقت نفسه يُعتبر الدفاع عن هذه الجزر في حالة وقوع حرب مهمةً عسكريةً بالغة الصعوبة، بسبب صغر حجم هذه الجزر وكونها بعيدة نسبياً عن البرّ الرئيسي للإقليم اليوناني.

6- قبرص:

تعد قبرص ثالث أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط بمساحة قدرها 9,251 كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالي مليون ومئتي ألف نسمة، ويشكّل القبارصة اليونانيون حوالي 72 بالمئة من مجمل عدد السكان، بينما يشكل القبارصة الأتراك حوالي 20 بالمئة.[1] تقع قبرص في الجزء الشمالي الشرقي للبحر المتوسط وتبعد حوالي 380 كيلومتر عن شمال مصر و105 كيلومتر عن غرب سوريا و75 كيلومتر عن جنوب تركيا. كما تبعد عن الأراضي اليونانية الرئيسية حوالي 800 كيلومتر لجهة الشرق، وحصلت الجزيرة على استقلالها في العام 1960 بعد أن كانت واقعة تحت الاستعمار البريطاني، ولا تزال إلى الآن عضواً في رابطة الكومنويلث.[2]

بعد الغزو التركي لشمال قبرص في العام 1974، تم تقسيم الجزيرة إلى قسمين، قسم واقع تحت سيطرة القوات التركية في الشمال ويشكّل تقريباً ثلث مساحة الجزيرة، ويطلق عليه الأتراك اسم جمهورية شمال قبرص التركية (Kuzey Kibris Turk Cumhuriyeti- KKTC)، بينما يخضع القسم الجنوبي لسلطة القبارصة اليونانيين، وتعتبر العاصمة نيقوسيا مقر الحكومة القبرصية التي تتمتع بعضوية كاملة في الإتحاد الأوروبي منذ العام 2004، ولا تزال المسألة القبرصية تأخذ إلى حد الآن حيزاً مهماً في رسم العلاقات بين تركيا والغرب.

---

[1] World Atlas, Last Update: 24 February 2021, Last Visit: 27 July 2024, (Cyprus Maps & Facts - World Atlas).

[2] سفارة جمهورية قبرص في مصر، آخر تحديث: 2006، آخر زيارة: 27 تموز 2024، (سفارة جمهورية قبرص بالقاهرة – معلومات عن قبرص(mfa.gov.cy).

7- تركيا:

يتمتع الموقع الجغرافي للجمهورية التركية بقيمة جيوسياسية بالغة الأهمية، حيث تُعتبر تركيا نقطة وصل بين آسيا وأوروبا، فضلاً عن كونها جسراً للتواصل بين الحضارات الشرقية والغربية. كما تتحكم تركيا بحكم سيادتها على مضيقي البوسفور والدردنيل بمقدرة روسيا، التي تُعد واحدة من القوى العظمى العالمية، على الوصول إلى المياه الدافئة، وبالتالي مدى قدرتها على ممارسة التجارة الخارجية التي يتم أكثر من 90 بالمئة منها عبر البحار.

تبلغ مساحة البلاد حوالي 783,356 كلم مربع، ويقع حوالي 97 بالمئة من هذه المساحة في آسيا و3 بالمئة فقط في القارة الأوروبية. ولدى تركيا حدود برية مع سبع دول هم بلغاريا واليونان من جهة الشمال الغربي، وجورجيا من جهة الشمال الشرقي، وأرمينيا وإيران من الشرق، والعراق من الجنوب الشرقي، وسوريا من الجنوب الغربي، كما لديها حدود من جهة الشرق مع إقليم ناختشيفان (Naxçivan)، وهو جيب يتمتع بالحكم الذاتي ويتبع لجمهورية أذربيجان.[1] وإنّ الناظر إلى خريطة تركيا، يرى أنّها تأخذ شكلاً يحاكي شبه الجزيرة، إذ لديها سواحل طويلة تحيط بها من الشمال والجنوب والغرب، وتُطل هذه السواحل على البحر الأسود من جهة الشمال وبحر إيجة من الغرب والبحر الأبيض المتوسط من جهة الجنوب.

يبلغ عدد سكان تركيا حوالي 83 مليون و500 ألف نسمة، 72 بالمئة منهم من الأتراك، بينما يشكل الأكراد أكبر أقلية عرقية في تركيا بحوالي 13 بالمئة من عدد السكان، كما تتواجد في تركيا أقليات عرقية أخرى كالعرب والشركس والأرمن.[2] وقد احتلّت المسألة العرقية في تركيا حيزّاً مهماً على صعيد السياسة والأمن كما سنعرض بالتفصيل لاحقاً خلال الفصل التالي.

بعد تفكك الدولة العثمانية وإعلان الجمهورية في العام 1924، اتخذت الجمهورية التركية اتجاهاً علمانياً خالصاً على صعيد السياسة والحياة الإجتماعية، حيث تم تحييد تركيا عن كل ما يتصل بتاريخها العثماني، لا سيما التراث الإسلامي والعلاقات مع محيطها العربي. كما شهدت الحياة السياسية علاقات معقدة بين المسؤولين

[1] World Atlas, Turkey, Last Update: 24 February 2021, Last Visit: 28 July 2024, (Turkey Maps & Facts - World Atlas)
[2] World Atlas, Turkey, Last Update: February 24, 2021, Last Visit: July 27 2024, (Turkey Maps & Facts - World Atlas).

السياسيين المدنيين، –خصوصاً أولئك الذين يحملون ميولاً إسلاميّة– وبين الجيش التركي الذي كان دائم التدخل في الحياة السياسية بحجة حماية العلمانية.

في العام 1950، أصبح عدنان مندريس، وهو سياسي تركي ذو خلفية إسلامية رئيساً للوزراء، وانضمت تركيا خلال عهده إلى حلف شمال الأطلسي في العام 1952، الأمر الذي زاد من أهميتها الإستراتيجية والعسكرية وأعطاها دوراً مهماً في الهيكل الأمني الغربي آنذاك. وبعد فترة طويلة من التجاذبات بين الأحزاب السياسية المدنية والمؤسسة العسكرية، قام الجيش التركي في العام 1960 بتنفيذ انقلاب عسكري بقيادة كنعان إيفرين، أُطيح بموجبه بمندريس وتم إعدامه لاحقاً، وتسلم الجيش بعد ذلك زمام السلطة في البلاد حتى العام 1989، حيث تم إجراء انتخاباتٍ وصل بموجبها تورغوت أوزال رئيس حزب الوطن الأم إلى سدة الحكم.[1]

وفي العام 1995، فاز حزب الرفاه بزعامة نجم الدين أربكان المعروف باتجاهاته الإسلامية بالإنتخابات البرلمانية، وتذرعاً بحجة حماية علمانية الدولة من ما وصفته المؤسسة العسكرية آنذاك بالرجعية الدينية، أصدر مجلس الأمن القومي بضغط من قادة الجيش في العام 1997 قراراً أدّى إلى سقوط حكومة أربكان وحظر حزب الرفاه، ثم وصل بعد ذلك حزب العدالة والتنمية إلى سدّة الحكم في العام 2002، وبشكل عام، لا تزال السياسة الداخلية التركية تتسم بالإستقطاب المستمر بين حزب العدالة والتنمية الحاكم مع المعارضة العلمانية واليسارية.[2]

وعلى الصعيد الخارجي، تعيش تركيا منذ عقودٍ من الزمن في صراعٍ عسكري مع حزب العمال الكردستاني الذي يهدف إلى تأسيس دولة كردية تضم الجنوب الشرقي لتركيا بالإضافة إلى أجزاء من العراق وإيران وسوريا، وتعد المسألة الكردية من أكثر المسائل التي تهدد الأمن القومي التركي. كما تخوض تركيا منذ العام 1999 محاولاتٍ للدخول إلى الإتحاد الأوروبي، ولها نزاعات مستمرة مع اليونان وقبرص حول الحدود البحرية وحقوق التنقيب عن النفط والغاز في شرق البحر المتوسط.

وكنتيجةٍ للسياسات الخارجية التي تتبعها تركيا منذ حوالي عقدين من الزمن، تمتلك تركيا نفوذاً لا بأس به في العديد من الدول، لا سيما ليبيا وشمال العراق وسوريا ودول آسيا الوسطى وأذربيجان وقبرص، كما لديها قواعد

[1] Umut Azak, Islam and Secularism in Turkey Kemalism, Religion and The Nation State, I.B. Tauris & Co, London, 2010, P: 132
[2] Umut Azak, Ibid, P: 137.

عسكرية في كلٍ من قطر والصومال،[1] وتتأرجح علاقات تركيا مع القوى العالمية والإقليمية بين التعاون والمنافسة، لا سيما الولايات المتحدة وروسيا لأسباب عديدة سيجري تفصيلها في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

كما سيجري التطرق إلى المساعي التركية لإرساء قواعد للتعاون المشترك في العديد من المجالات بين تركيا والصين، في ظل صعود مكانة الصين كدولة مؤثرة في المشهد السياسي والإقتصادي العالمي، بالإضافة إلى قربها جغرافياً من إقليم آسيا الوسطى الذي تعتبره تركيا من أهم المناطق التي تدخل ضمن ما يمكن تسميته بالعمق الإستراتيجي لتركيا.

[1] بي بي سي عربي، القواعد العسكرية التركية في الخارج ومهامها، آخر تحديث: 18 آب 2019، آخر زيارة: 14 أيلول 2024، (https://www.bbc.com/arabic/middleeast-49376606).

الفصل الثاني: الممارسات الجيوبوليتيكة التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط في إطار التفاعلات الدولية

خلال سعيها للصعود إلى مكانةٍ أعلى من المكانة التي تحظى بها حالياً في المشهد السياسي العالمي، أدركت تركيا أن إمكانياتها ومقدّراتها الوطنية لا تسمح لها –على الأقل في الوقت الحالي– بالسعي إلى مجاراة القوى الكبرى من حيث النفوذ والتأثير الخارجي. لهذا نرى أن السياسة الخارجية التركية ترتكز بشكل رئيسي على التحرك بشكل مدروس في أقاليم محددة دون غيرها، بهدف توظيف هذه الإمكانيات الموجودة لديها بأكبر درجة ممكنة من الفعالية.

وكانت هذه التحركات بحسب الواقع المشاهد، تأخذ بعين الإعتبار عدم الخوض في مغامرات سياسية أو عسكرية قد تكون أكبر من قدرة تركيا على إدراتها وتحمل تكاليفها على أي صعيد من الأصعدة، لا سيما فيما يتعلق بالحفاظ على استقرار علاقات تركيا مع الحلفاء والخصوم على حد سواء، حيث حرصت السياسة التركية على عدم تخطى "قواعد الإشتباك السياسي"، بهدف عدم الدخول في صراعات أكبر من ما يمكن للدولة التركية تحمله سواء على الصعيد السياسي أو الإقتصادي أو العسكري.

لهذه الأسباب، إرتكزت السياسة الخارجية التركية على التحرك بشكل بطيئ في مناطق جغرافية معينة، خصوصاً في الأقاليم التي يرى صانعوا القرار في تركيا أنها قد تشكل أرضاً خصبة لنمو النفوذ الخارجي التركي، لا سيما منطقتي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، حيث كانت معظم التحركات العسكرية والدبلوماسية والسياسية التي تقوم بها تركيا خارج حدودها، خصوصاً في العقد الماضي من الزمن، مرتكزةً بشكل أساسي في هذين الإقليمين اللذان يحملان أهمية إستراتيجية عالية بالنسبة لتركيا والعالم من جوانب عديدة.

إنّ الأهمية التاريخية التي تحملها الرقعة الجغرافية التي يتواجد عليها الإقليم الجغرافي لتركيا، قد فرضت عليها لعب دورٍ أكبر من أن يكون محصوراً داخل حدود تلك الدولة القومية الحديثة التي تم تأسيسها بعد انهيار السلطنة العثمانية، والتي توّجه حكامها الأوائل إلى الإبتعاد بالجمهورية الجديدة عن كل ما يمُتّ للتاريخ العثماني بصلة. وفي هذا الجانب، يقول أحمد داوود أوغلو، وزير الخارجية التركي السابق وأحد أبرز مهندسي السياسة الخارجية التركية، أنه "لا يمكن لتركيا، الدولة التي ظهرت على الأرضية التاريخية والجيوسياسية للدولة العثمانية،

أن تحصر مجال تخطيطها الدفاعي داخل حدودها القانونية فحسب، وإنّ الإرث التاريخي الذي تمتلكه تركيا يفرض عليها ضرورة التدخل في أي وقت في قضايا متعددة خارج حدودها"[1].

المبحث الأول: الدور الإقليمي التركي في سياقه التاريخي والمعاصر

إنّ القارئ للسير التاريخي للجمهورية التركية منذ تأسيها وحتى اليوم، يُلاحظ أنها تركت ممارسة الأدوار الخارجية فقط خلال مراحل الفوضى والإستقطاب السياسي الحاد الذي حصل بين الجيش والحكومات المدنية، حيث أجبرتها أوضاعها الداخلية على الإنكباب على شأنها الداخلي، دون أن يكون لها أدنى قدرة على الإهتمام بما يجري حولها إقليمياً أو عالمياً.

ولذلك، يمكن القول أنّه ليس من المستغرب دخول تركيا إلى المشهد الدولي، ولكن المستغرب خروجها منه خلال الحقبة الماضية[2]. والدليل على هذا، أن فترة الإستقرار النسبي التي عاشتها تركيا من العام 1970 إلى العام 1980 قد شهدت واحدة من أهم التحركات التي لا زالت إلى حدّ اليوم تعطي تركيا أهميةً إستراتيجية كبرى، ألا وهي تمركز القوات التركية في شمال قبرص، أي في قلب العمق الإستراتيجي للبحر الأبيض المتوسط.

كما إنّ الإتفاقيات التي وقعتها تركيا مع جمهورية شمال قبرص التركية، قد أعطت تركيا غطاءً قانونياً للعديد من تحركاتها في شرق المتوسط، على الرغم من كون هذه الجمهورية معترف بها فقط من الجانب التركي. لا سيما أنّ هذه التحركات لم تقتصر فقط على الحفاظ على موضع قدم لتركيا في شمال قبرص، بل امتدّت إلى ما هو أبعد من ذلك في الفترات اللاحقة.

وقد تمّت إعادة بلورة الطموحات التركية بشكل أكثر وضوحاً مع وصول رئيس الوزراء التركي السابق تورغوت أوزال إلى سدة الحكم في العام 1983، الذي شهد بروز مفهوم "العثمانية الجديدة"، الذي يعني إعادة الإهتمام بالمناطق التي كانت جزءاً من السلطنة العثمانية، خصوصاً منطقة القوقاز والشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

---

[1] أحمد داوود أوغلو، العمق الإستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، ط1، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010، ص:63.

[2] محمد عبد السلام، مرجع سابق، ص: 146، بتصرّف.

المطلب الأول: تبلور الجيوبوليتيك التركي وتطبيقاته الإقليمية

لا يمكن القول بأي حال من الأحوال، أنّ إعادة تبلور الطموحات التي تهدف إلى استعادة الدور التركي في هذه المناطق قد أتت بشكل عبثي أو من شعور صانعي القرار في تركيا بفائضٍ في القوّة يجب تصديره إلى الخارج، بل على العكس من ذلك، فإنّ الجمهورية التركية، خصوصاً في الفترة التي تبلورت فيها هذه الطموحات، كانت تفتقر بشكل كبير إلى الأسباب المادية التي تسمح لها بلعب دورٍ إقليمي خارج حدودها.

لكنّ ما حصل بحسب السياق التاريخي، أنّ تركيا التي حصرت سياساتها الخارجية ودورها الإقليمي منذ الخمسينات داخل الحدود التي رسمها لها حلف شمال الأطلسي، قدّ مرّت بتجارب أثبتت لها أن تطوير سياستها الخارجية بما يتوافق مع مصالحها القومية هو ضرورة حتمية، حتى لو كانت هذه السياسات لا تتماشى مع كونها عضواً في حلف شمال الأطلسي.

فعلى سبيل المثال، "قد تبنّت تركيا طيلة فترة الحرب الباردة سياسات خارجية قائمة على المفهوم الأمني الحدودي، بدلاً من المفهوم الذي يتناول الوضع الدولي، وإنّ عدم استطاعة الطائرات التركية القيام بعمليات في البلقان لعدم قدرتها على التزود بالوقود خلال أزمة البوسنة، كان ناتجاً عن الرؤية السياسية التي أهملت الوضع الدولي وتبنت المفهوم الحدودي".[1] كما يمكن القول إنّ الشعور التركي بالعجز عن القيام عن بأي دور فعّالٍ في البلقان خلال حرب البوسنة، قد شكّل نوعاً من "العلاج بالصدمة"[2] لحالة القصور الإستراتيجي التي كانت تعاني منها السياسات الخارجية التركية منذ نشأة الجمهورية.

وبطبيعة الحال، برزت نتائج هذه المُجريات التي مرت بها تركيا، من خلال إعادة حساباتها خصوصاً في مسألة العلاقات مع الغرب، حيث أدرك صنّاع القرار في تركيا أن أربعين عاماً من الإنضواء التركي تحت المظلّة الأطلسية لم يُسفر عن وصول الدولة التركية إلى حالة تُمكنّها من بناء استراتيجية تحفظ لها أمنها القومي،

---

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 95.

[2] العلاج بالصدمة: هو أسلوب في العلاج النفسي، ينطوي على إحداث وضع أو حالة جديدة تتسبب في تنبيه الشخص لسلوكياته وأفعاله، ودفعه إلى إعادة حساباته بهدف إخراجه من حالة الغفلة التي يعيشها.

خصوصاً لجهة رداءة التسليح الذي حصلت عليه تركيا من الحلف مقارنةً بخصمها اليوناني، بالإضافة إلى ما يتعلّق بقدرتها على الدفاع عن المناطق الإستراتيجية التي يُحتمل أن تكون مناطق نفوذ تركي في المستقبل.

وإنّ هشاشة التجربة التركية على صعيد التفاعل مع ما يقع خارج حدودها من الخمسينيات إلى التسعينيات، بالإضافة إلى أنّ "الوعي الجمعي التركي يوجد فيه شيء اسمه متلازمة سيفر –نسبة إلى معاهدة سيفر التي يعتبرها الأتراك مجحفة بحقهم–، والتي تعني أنّ تركيا محاطة بالقوى العظمى التي تريد تفكيكها وإضعافها"[1]، قد أرست قناعاتٍ لدى المسؤولين الأتراك بأنّه لا سبيل للحفاظ على استقلال بلادهم وأمنها القومي إلّا عبر السياسات المتوازنة بين الشرق والغرب والإستفادة من التجاذبات التي تحصل بين القوى العالمية، ثمّ السعي بعد ذلك بكل الوسائل الممكنة إلى تحقيق الإستقلالية التركية في جميع المجالات لا سيما المجالين العسكري والسياسي.

وحتى قبل حدوث أزمة البوسنة بنحو عقدين من الزمن، أي في العام 1964، أدّت "رسالة الرئيس الأميركي ليندون جونسون إلى قيام تركيا بإعادة النظر في علاقاتها مع دول المحور الشرقي خصوصا الإتحاد السوفييتي"[2]، حيث هدد الرئيس الأميركي الأسبق ليندون جونسون بترك تركيا وحدها في مواجهة الإتحاد السوفياتي إذا قامت بالتدخل العسكري في شمال قبرص إبان الإنقلاب المدعوم من النظام العسكري اليوناني آنذاك.

ولهذه الأسباب، بدأ الإنعطاف في السياسة الخارجية التركية تجاه روسيا بعد أزمة البوسنة في العام 1992، وكانت "إتفاقية المبادئ حول العلاقات بين روسيا وتركيا، التي تم التوقيع عليها في 25 مايو 1992 خلال الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس الوزراء التركي آنذاك سليمان ديميريل إلى موسكو، أول وثيقة تحدد الخطوط الأساسية للعلاقات التركية الروسية في فترة ما بعد الحرب الباردة"[3]، وقد اعتُبرت هذه الخطوة حينها أوّل المحاولات التركية للإستقلال بسياستها الخارجية بعيداً عن المظلّة الأطلسية.

---

[1] عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية: الإتجاهات والتحالفاتت المرنة وسياسة القوة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2021، ص: 87.

[2] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 94.

[3] Fatma Aslı Kelkitli, Turkish–Russian Relations: Competition and Cooperation in Eurasia, Routledge, New York, 2017, P: 20.

إنّ تداعيات أزمة البوسنة على سيكولوجية الأمن والدفاع في تركيا، وما تبعها من التوجهات التركية نحو حتمية تحسين العلاقات مع الإتحاد السوفييتي، قد ساهمت بشكل كبير في تشكيل القناعة التركية بأنّ "الدفاع عن تراقيا الشرقية واسطنبول يبدأ من الأدرياتيكي وسيراييفو، كما يبدأ الدفاع عن شرق الأناضول وأرضروم من شمال القوقاز، خصوصاً العاصمة الشيشانية غروزني"[1].

وبالتالي، فإنّ القناعات التركية الجديدة تعتقد بأنّ السبيل لدرء التهديدات عن شرق الأناضول يبدأ من القوقاز، أي المنطقة التي تقع في شرق وشمال شرق الحدود الشرقية والشمالية لتركيا، وتشمل "أذربيجان وأرمينيا وجورجيا بالإضافة إلى منطقة القوقاز الروسي التي تشمل مناطق أقصى الجنوب الغربي لروسيا من إقليم ستافروبول كراي شمالاً إلى أوسيتيا الشمالية والشيشان جنوباً وتمتد شرقاً إلى إقليم داغستان"[2]، وبالتالي يجب إعادة النظر في العلاقات مع روسيا التي تمتلك نفوذاً واسعاً في هذه المنطقة، لا سيما في أرمينيا وجورجيا.

ولهذا، حافظت تركيا على موضع قدم لها في هذه المنطقة من خلال تواجدها في إقليم ناختشيفان الأذربيجاني المتاخم لحدودها الشرقية، بالإضافة إلى دعمها لأذربيجان خلال الحرب الأذرية الأرمينية التي امتدت من العام 1988 إلى العام 1994، كما تواصل هذا الدعم حتى الحرب الأذرية الأرمينية الثانية التي اندلعت في العام 2020، حيث سيطرت أذربيجان بدعمٍ تركي على إقليم ناغورنو كاراباخ المتنازع عليه مع أرمينيا.[3]

وإنّ النظرة الإستراتيجية التركية تجاه أذربيجان، لا تقتصر فقط على تأمين المصالح التركية في القوقاز، بل تذهب إلى أبعد من ذلك من حيث اعتبار هذه المنطقة بوابةً لعبور تركيا إلى قزوين وبالتالي إلى آسيا الوسطى، ذلك الإقليم الذي على الرغم من حصوله على استقلاله بعد انهيار الإتحاد السوفياتي، إلّا إنّه كان لا يزال متأثراً بشكل كبير بالنفوذ الروسي وبشكل رسميّ أيضاً عبر ما يعرف "رابطة الدول المستقلة".[4]

---

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 79.

[2] مصباح الله عبد الباقي، مرجع سابق، ص: 3.

[3] رانيا مكرم، نزاع مفتوح: لماذا تتجدد الإشتباكات بين أرمينيا وأذربيجان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، آخر تحديث: 15 أيول 2022، آخر زيارة: 1 أيلول 2024، (https://acpss.ahram.org.eg/News/17608.aspx)،

[4] رابطة الدول المستقلة هي منظمة أُنشئت بعد تفكك الإتحاد السوفييتي حيث ضمّت روسيا وإحدى عشر دولة من الجمهوريات السوفياتية السابقة منها دول آسيا الوسطى والقوقاز.

ولهذا، شهدت الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة تطوراً ملحوظاً في العلاقات التركية الروسية، "وجاءت نقطة التحول التي من شأنها أن تولّد تقاربا ملحوظا بين البلدين في عام 1997، عندما قام رئيس الوزراء الروسي فيكتور تشيرنوميردين بزيارة تركيا، ووقع مع نظيره التركي مسعود يلماز اتفاقية خط أنابيب غاز السيل الأزرق (Blue Stream) التي عززت شراكة الطاقة بين البلدين"[1].

أمّا عن مسألة كون الدفاع عن تراقيا الشرقية[2] يبدأ من الأدرياتيكي، أي ذلك البحر الواقع في غرب البلقان[3] وشرق إيطاليا، فإنّ هذا المفهوم يُجسّد القناعات التركية بأن الدفاع عن أمنها القومي وحماية أراضيها وحدودها الغربية يبدأ من عمق أوروبا، وهذا ما يفسّر الإهتمام التركي بالبلقان، الذي لا يمكنها الوصول إليه إلّا عبر منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط لأن اليونان تمثّل حاجزاً بريّاً أمام الوصول التركي إلى البلقان.

لهذا، بدأت تركيا في هيكلة سياساتها الخارجية بحسب القناعات التي ترسخت عبر عقودٍ في الوعي التركي حول ضرورة حصول تركيا على عمق دفاعي خارج حدودها، وإنّ هذا العمق الدفاعي الذي حددته تركيا لم يُهمل الإعتبارات التاريخية التي تحدد خصوم تركيا التقليديين، وكان مُوجهاً بشكل دقيق نحو تكوين خطوط دفاعية لتركيا في المناطق التي قد تستخدم من قبل هؤلاء الخصوم (اليونان وروسيا والغرب)، لمهاجمة تركيا في أي حرب مستقبلية محتملة.

وهكذا، تتضح الصورة أكثر بخصوص مدى اهتمام تركيا بالحصول على العمق الإستراتيجي الخاص بها في منطقتي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، حيث إنّ آسيا الوسطى تعتبر بمثابة العمق الدفاعي التركي في وجه روسيا التي تُعتبر العدو التقليدي لتركيا منذ أيّام السلطنة العثمانية، بينما يُعتبر شرق المتوسط بوابة تركيا إلى البلقان الذي تعتبره بمثابة عمقها الدفاعي الذي يسمح لها بالإلتفاف حول اليونان التي تُشكّل حزاماً خطراً حول

---

[1] Fatma Aslı Kelkitli, Op. Cit, P: 20.

[2] تراقيا الشرقية: القسم الجغرافي التركي الواقع في أوروربا والذي يمتد من الجزء الأوروبي من إسطنبول الأوروبية إلى الحدود مع اليونان وبلغاريا.

[3] البلقان: هي منطقة ثقافية وجغرافية تقع في الجزء الجنوبي من قارة أوروبا، في شرق شبه الجزيرة الإيطالية، وفي الغرب أو الشمال الغربي من منطقة الأناضول.

كامل الحدود الغربية لتركيا بسبب سيادتها على جزر بحر إيجه، بالإضافة إلى إعطاءها ساحة دفاع متقدمة في وجه خصومها التقليديين في أوروبا.

وإنّ انطلاق محددات العمق الاستراتيجي التركي من هذه المنطلقات التاريخية، لا يعني بالضرورة أنّ هذه المنطلقات هي وحدها التي تحكم الطموحات التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط، بل إنّ هنالك الكثير من الاعتبارات التاريخية والمعاصرة التي تغذي الطموحات التركية تجاه هذين الإقليمين، لا سيما من ناحية الموقع الإستراتيجي والموارد الطبيعية.

وإنّ من أبرز ملامح الإنعطاف الذي حصل على مستوى السياسات الخارجية في تركيا في تسعينيات القرن الماضي، كانت في بداية محاولات تحويل نقاط القوة المادية والمعنوية التي تمتلكها تركيا إلى أدواتٍ فعّالةٍ لاستخدامها في السياسة الخارجية، وبلا شكّ، كان موقع تركيا الإستراتيجي، أوّل وأهمّ ما يُمكن البدء بالاستفادة منه على صعيد السياسة الخارجية.

وكما يقول المفكر الجيوبوليتيكي نيكولاس سبايكمان، "إنّ الإقليم أو الأرض التي تقع عليها الدولة تؤثر عليها وعلى ما عليها، ومن عليها، وما يحيط بها"[1]، فإنّ موقع تركيا المطل على أربع بحار واثنين من أهم الممرات المائية وقربها من طرق التجارة العالمية سواء برّاً أو بحراً بفضل تموقعها كجسرٍ بين الشرق والغرب، قد أعطاها أهمية سياسية وإقتصادية، بسبب قدرتها على التحكم في هذه الممرات.

وإنّ موقع تركيا القريب من روسيا –ومن الإتحاد السوفييتي سابقاً– قد جعلها حليفاً إستراتيجياً مرغوباً به من جانب حلف شمال الأطلسي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. حيث لعبت تركيا في ذلك الوقت دوراً إستراتيجياً في سياسة الإحتواء الغربية الموجهة نحو الإتحاد السوفياتي، حيث قام الحلف بنشر صواريخه التي تحمل رؤوساً نووية في قاعدة إنجرليك التي تقع في جنوب شرق تركيا بالقرب من مدينة أضنا، حيث كانت هذه القاعدة في ذلك الوقت بمثابة أقرب نقطة للأراضي السوفييتية تتواجد فيها القوات والصواريخ التابعة لحلف شمال الأطلسي، لا سيما أن شرق أوروبا بأكمله كان واقعاً تحت سلطة السوفيات.

[1] جاسم سلطان، مرجع سابق، ص: 85.

وعلى الرغم من أنّ انهيار الإتحاد السوفييتي، وخروج دول أوروبا الشرقية من المظلة السوفييتية قد قلل من أهمية موقع تركيا الإستراتيجي بالنسبة لحلف شمال الأطلسي، خصوصاً مع انضمام دول البلطيق الثلاث إليه، إلّا أنّ هناك العديد من العوامل التي بدأت تظهر منذ تلك الفترة والتي ساهمت بشكل مباشر في زيادة أهمية تركيا بالنسبة للحلف، مثل عديد الجيش التركي الذي يجعله "ثاني أكبر جيش في حلف شمال الأطلسي بعد جيش الولايات المتحدة الأميركية"[1]، بالإضافة إلى ظهور خصوم جدد للغرب على الساحة السياسة العالمية في العديد من المناطق القريبة من تركيا من الناحية الجغرافية، لا سيما في منطقة الشرق الأوسط.

كما إنّ فترة ما بعد الحرب الباردة، قد شهدت اهتماماً متزايداً من جانب الولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي بمنطقة الشرق الأوسط لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالنفط والثروات، ومنها ما يتعلق بالأوضاع الأمنية في هذه المنطقة، حيث اعتبر الحلف الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية تواجده في تركيا بمثابة نقطة انطلاق نحو مناطق الصراع في الشرق الأوسط وجنوب القوقاز.

ومع كل هذه الأهمية الاستراتيجية التي يحظى بها موقع تركيا الجغرافي، إلّا أنّه منذ نشأة الدولة التركية الحديثة وانضمامها إلى حلف شمال الأطلسي، وحتى وقتٍ قريب، لم يسهم هذا الموقع إلّا بشكلٍ ضئيل في خدمة المصالح القومية للدولة التركية، بل إنه قد حوّل تركيا إلى أداة استراتيجية غربية لتشكيل حاجز أمام الروس لاحتوائهم ومنعهم من الوصول إلى المياه الدافئة، وإلى نقطة جغرافية متقدمة ينطلق منها الغرب في سياساته الهادفة إلى التوسع واحتواء خصومه في الشرق.

ولهذا، يمكن القول أنّ حالة الصحوة التركية حيال ضرورة انتهاج مقاربة جديدة تكون فيها الأولوية للمصالح التركية لا للرؤى الغربية التي حددت دور تركيا بما يخدم مصالح الغرب، قد بدأت بعد أن أدرك صناع القرار في تركيا "أنّ الوضع الجيوسياسي لا يمتلك قيمة بمفرده، بل إنه يكتسب معناه اذا تم استحدامه كأداة مؤثرة في

[1] Statista, Number of active military personnel in NATO countries in 2024, Last Update: 3 July 2024, Last Visit: 8 August 2024, (Number of active military personnel in NATO countries 2024 | Statista).

استراتيجية السياسة الخارجية التي تنسجم مع متطلبات الوضع الجيوسياسي، كما إنّه يجب رؤية هذا الوضع كأداة للانفتاح على العالم ضمن خطوات مرحلية لتحويل التأثير الإقليمي إلى تأثير عالمي"[1].

من هذا المنطلق، حددت تركيا سياساتها الخارجية بالإعتماد على مبدأ التوفيق بين خصائصها الجغرافية والتاريخية بهدف تأمين نفوذ فعّال لتركيا في المناطق الجغرافية القريبة منها، لا سيما تلك المناطق التي يجمعها بتركيا عوامل مشتركة مثل الدين واللغة والتاريخ المشترك، وبالتالي فإنّ آسيا الوسطى ومعها شرق المتوسط كانا بمثابة نقطة انطلاق مثالية للمقاربة التركية الجديدة فيما يتعلق بالسياسات الخارجية.

جاءت ضرورة وضع مقاربة جديدة للسياسات الخارجية التركية تجاه شرق المتوسط، من أنّ تركيا، وعلى الرغم من امتلاكها عمقاً دفاعياً بفضل مساحتها الكبيرة، لكنّ حدودها الطويلة تشكّل تحدياً من حيث قدرة القوات المسلحة على ضبطها ومراقبتها، وعلى الرغم من إحاطة المناطق الجبلية والبحار بمعظم المساحات الحدودية[2]، إلا أنّ طول الحدود المغلفة للإقليم التركي يعني بتعبير آخر كثرة النقاط والثغرات التي يمكن أن يستغلها الخصوم لخرق هذه الحدود، والتوغل داخل الأراضي التركية في أي نزاعات عسكرية مستقبلية، الأمر الذي يُحتّم على تركيا أن توسع عمقها الدفاعي خارج حدودها لزيادة حصانة هذه الحدود ضدّ الإختراق.

كما تواجه تركيا منذ عقودٍ من الزمن تحديات كبيرة في ضبط حدودها الجنوبية مع سوريا والعراق، لا سيما لجهة اتخاذ حزب العمّال الكردستاني (PKK) الذي "تأسس في العام 1978 وبدأ عملياته العسكرية ضد تركيا في العام 1984"[2]، من جبال قنديل الممتدة على طول الحدود العراقية التركية ملاذاً آمناً له ومحطةً لانطلاق عملياته العسكرية ضد تركيا.

ولهذه الأسباب، لا زالت تركيا تخوض نزاعاً مسلحاً داخل الأراضي العراقية إلى يومنا هذا. حيث بدأت تركيا "في العام 1983 عمليات عسكرية عابرة للحدود استهدفت قواعداً تابعة لحزب العمّال الكردستاني في شمال

---

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 143.

[2] Eas David Romano and Mehmet Gurses, Conflict, Democratization, and The Kurds in The Middle, Palgrave Macmillan, New York, 2014, P: 172.

العراق، كما قامت حكومة صدام حسين في بعض الأحيان، بإعطاء موافقة ضمنية لتنفيذ بعض العمليات العسكرية التركية ضمن مسافة 5 كيلومترات داخل الأراضي العراقية"[1].

كما واجهت تركيا صعوبات كبيرة في ضبط الحدود مع سوريا، لا سيما لناحية تهريب الأشخاص والبضائع، لكن الوضع الأمني على الحدود السورية التركية كان مضبوطاً إلى حدٍّ لا بأس به في فترة ما قبل العام 2011، حيث إنّ اندلاع المواجهات العسكرية في سوريا قد أدّى إلى فراغ أمني على الحدود التركية السورية، مما شكّل فرصةً أمام الجماعات الكردية في سوريا للتحرك نحو تحصيل حكم ذاتي لمناطقهم في الشمال السوري، حيث "ألهم نجاح الحكم الذاتي الكردي في العراق بعد سقوط صدام حسين تطلعات الأكراد لاحقيق من الحكم الذاتي والحقوق السياسية في كل من تركيا وإيران وسوريا"[2].

إنّ المسألة الكردية شكّلت حجر الأساس في تعاطي تركيا مع النزاع المسلّح الذي كان دائراً في سوريا، حيث نظرت تركيا إلى التنظيمات المسلحة الكردية على أنها امتداد لحزب العمال الكردستاني"[3]. ولهذا قامت تركيا بشنّ عمليات عسكرية بشكل مشترك مع الجيش الوطني السوري المدعوم من جانبها، بهدف تأمين الحدود وإنشاء منطقة آمنة بطول 450 كيلو متر وعمق 30-40 كيلومتر على طول الحدود السورية التركية شرق نهر الفرات، بهدف توطين نحو مليون لاجئ سوري فيها"[4]. وهكذا يتضّح أنّ الهدف الذي سعت إليه تركيا فيما يتعلق بحدودها الجنوبية مع سوريا، هو الحصول على عمق دفاعي في مساحات بعيدة عن حدودها بما يضمن لها إبعاد أي تهديدات محتملة لهذه الحدود ممن قبل أي خصوم في المستقبل، كما حافظت تركيا على النشاط العسكري الفعال في المناطق الحدودية مع سوريا والعراق بهدف درء أي محاولات مستقبلية لتوسيع مشروع كردستان ليشمل الداخل

---

[1] Micheal Knights, Turkey's War in Northern Iraq: By the Numbers, The Washington Institute for Foreign Policy, Last Update: 28 July 2022, Last Visit: 8 August 2024, (Turkey's War in Northern Iraq: By the Numbers | The Washington Institute).

[2] Eas David Romano and Mehmet Gurses, Op.Cit, P: 252.

[3] Ibid: P: 65.

[4] وحدة الدراسات السياسية، العملية العسكرية التركية في شمال سوريا: نطاقها وأهدافها وردات الفعل عليها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2019، ص: 1.

التركي، حيث يتواجد ملايين الأكراد الذين يعيشون في تركيا ويحملون الجنسية التركية. بالإضافة إلى القضاء على أي إمكانية لقيام كيان انفصالي كردي في المنطقة القريبة من الحدود التركية السورية.

بالإضافة إلى ذلك، كان من مصلحة تركيا آنذاك توسيع رقعة المناطق التي تسيطر عليها الفصائل السورية المدعومة من جانبها، وبالتالي زيادة نفوذها وتأثيرها داخل سوريا، بالإضافة إلى إقامة منطقة عازلة بينها وبين المناطق الخاضعة لسيطرة روسيا وإيران والنظام السوري قبل سقوطه في الثامن من كانون الثاني من العام 2024، فضلاً عن كون هذه المنطقة يمكن أن تشكّل بدايةً لإعادة توطين اللاجئين السوريين في بلادهم، وبالتالي تخفيف الضغوط الشعبية على الحكومة في تركيا بسبب تواجد أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين في الداخل التركي.

أمّا بالنسبة للمنطقة الحدودية الجنوبية التي يحدّها البحر الأبيض المتوسط، فإنّ هذه المنطقة تُعتبر بمثابة الخاصرة الرخوة لتركيا، حيث أنّ هذه المناطق مكشوفة أمام الخصوم ومن السهل مهاجمتها. ومما زاد حساسية هذه المنطقة هو الوجود العسكري الروسي –السوفييتي سابقاً– في السواحل السورية أي بمحاذاة هذه المنطقة، وبالتالي فلا يفصل القوات الروسية عن الحدود التركية المشاطئة للبحر المتوسط سوى بضع أميال بحرية.

وإن الحدود البحرية الطويلة التي تمتلكها تركيا قد حفزتها على الإهتمام بقوتها البحرية التي جاءت في المرتبة العاشرة على مستوى العالم في تقرير الدليل العالمي للأساطيل البحرية الحديثة[1]، كما إنّ هذه المسألة لديها بعد تاريخي في الذهنية التركية، حيث "تسارعت عملية انحدار الدولة العثمانية بعد أن خسرت سيطرتها على البحار المحيطة بها، كما أدى ضعف الأسطول العثماني الى خسارة ليبيا، التي كانت آخر قلعة صمود لها في افريقيا، وإلى احتلال جزر بحر ايجه من قبل اليونان في حرب البلقان وسيطرة الحلفاء على مضيقي البوسفور والدردانيل في الحرب العالمية الاولى، كما يُعد هذا القصور أحد أبرز أسباب الخسارة في هذه الحرب"[2].

---

[1] World Directory of Modern Militray Warship, Global Naval Powers Ranking (2024), Last Update: 2024, Last Visit: 1 September 2024, (https://www.wdmmw.org/ranking.php).

[2] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 178–179.

المطلب الثاني: محددات التحركات التركية تجاه شرق المتوسط ووسط آسيا

كانت أزمة قبرص، التي حدثت في العام 1974 حين طالب قادة الإنقلاب في قبرص بضمّ الجزيرة إلى اليونان، من أهم الأحداث التي سلطت الضوء لدى المسؤولين الأتراك على خطورة عدم امتلاك قوات بحرية متطورة. حيث إنّ وقوع جزيرة قبرص تحت السيطرة العسكرية اليونانية في حال إتحادها مع اليونان سيجعل من تركيا محاطة بالقواعد العسكرية الروسية في جنوب شرق حدودها الجنوبية –أي في الساحل السوري–، وبالقوات العسكرية اليونانية في قبرص من جهة الجنوب، وبالجزر الواقعة تحت السيادة اليونانية في بحر إيجة والمحيطة بحدودها من جهة الجنوب الغربي، بالإضافة إلى اليونان التي تقع على الحدود الغربية البرية لتركيا.

وإنّ النظر إلى الخريطة الجيوسياسية لمنطقة شرق المتوسط، يوضح أن مسألة التدخل التركي في قبرص لم تكن أمراً إختيارياً بالنسبة لتركيا، بل كانت مسألة وجودية، حيث إنّ وقوع جزيرة قبرص تحت السيطرة اليونانية كان سيجعل تركيا محاصرة بالقوات العسكرية اليونانية من جميع جهات حدودها الجنوبية والجنوبية الغربية، وبالتالي فإنّ أي صراع تركي يوناني في المستقبل، قد يؤدي إلى حرمان تركيا من الوصول إلى البحار والمياه الدولية. بتعبير آخر، كانت تركيا قاب قوسين أو أدنى من أن تصبح دولة شبه حبيسة لا سبيل لها للوصول إلى المياه الدولية في حال نجحت اليونان عسكريا في جعلها كذلك في أي صراع محتمل.

وإنّ التحرك الذي قامت به تركيا إزاء جزيرة قبرص قد أعطاها مزايا إستراتيجية عديدة، حيث إنّ تواجدها العسكري في شمال قبرص في مقابل الساحل السوري حيث الوجود العسكري الروسي، قد ساعدها في تخفيف التهديد الذي يشكله التواجد العسكري الروسي في الساحل السوري قبالة الخاصرة الرخوة لتركيا في حدودها البحرية الجنوبية، كما أعطاها القابلية على التأثير على الإتصال بين القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا بفضل موقع الجزيرة المميز وسط هذه القارات.

وبالنظر إلى الخريطة الجغرافية لهذه المنطقة، يتّضح أنّ التواجد العسكري التركي في شمال قبرص يعطي تركيا ميزة التواجد بمحاذاة جزيرة كريت اليونانية أُفقياً، وبالتالي، كسر حاجز الطوق الوهمي الذي تشكله الجزر اليونانية

حول جنوب وغرب تركيا، كما ساهم هذا التواجد في تعزيز موقف تركيا لجهة تحجيم المطالب اليونانية والقبرصية بمنطقة إقتصادية خالصة ضخمة تتضمن بعض المواقع البحرية القريبة من تركيا بحسب اتفاقية خليج مونتيغو التي "تحدد المنطقة الإقتصادية الخالصة لكل دولة بإثنا عشر ميلاً بحرياً انطلاقاً من آخر نقطة برية تقع تحت سيادة الدولة"[1].

لا سيما أنّ تركيا تتبنّى مفهوم الوطن الأزرق فيما يتعلّق ترسيم الحدود البحرية في شرق المتوسط، والذي يعبر عن الرؤية التركية بالسيطرة على المسطحات المائية القريبة منها، كما إن تركيا "لم تصادق على اتفاقية خليج مونتيغو، وتعتبرها غير متوافقة مع جغرافيا البحر المتوسط، حيث إنّ دولة مثل اليونان سيكون لها منطقة اقتصادية ضخمة بسبب سيادتها على الجزر اليونانية القريبة من الساحل التركي، كما إنّ جمهورية شمال قبرص التركية –المعترف بها من الجانب التركي فقط– قد عارضت المطالب البحرية لقبرص اليونانية وطالبت بمنطقتها الإقتصادية الخالصة"[2].

إضافة إلى ذلك، اعتبرت تركيا شمال قبرص بمثابة نقطة انطلاق نحو تحركات عسكرية أخرى في شرق المتوسط، لا سيما فيما يخصّ ليبيا. حيث تدخلت تركيا عسكرياً بشكل مباشر في الصراع الليبي "بعد أن شنّت القوات التابعة لخليفة حفتر قائد الجيش الوطني المدعوم من روسيا، ويمثله مجلس النواب في طبرق، هجوماً على العاصمة طرابلس في العام 2019 لإنهاء حكومة الوفاق والوطني ومجلس الرئاسة الليبي –المدعوم من الجانب التركي– برئاسة فايز السرّاج"[3].

ولهذا "قامت القوات التركية الليبية المشتركة في العام نفسه، بموجب الإتفاقيتين اللتين تمّ توقيعهما مع ليبيا حول ترسيم الحدود البحرية وطلب المساعدة العسكرية، بحملة جوية استهدفت قوات حفتر وخطوط امداده وقواعده، استعادت على إثرها حكومة الوفاق الغرب الليبي كاملا ومحيط طرابلس وقاعدة الوطية الجوية الاستراتيجية،

---

[1] Aurélien Denizeau, Mavi Vatan, the Blue Homeland: The Origins; Influences and Limits of an Ambitious Doctrine for Turkey, Études de l'Ifri, Paris, 2021, P: 9.

[2] Ibid, P: 6-8.

[3] عماد قدورة، السياسة البحرية التركية في المتوسط والتدخل العسكري في ليبيا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2020، ص: 15-16.

ووصلت إلى حدود مدينة سرت، ومن دون هاتين الإتفاقيتين، لم يكن لتركيا أن تحصل على مبرر قانوني لمد نفوذها الى عمق المتوسط أو أن تنشر أسطولها في أعالي البحار".[1]

وإنّ الإهتمام التركي بالتواجد الفعال في شمال قبرص وليبيا فضلاً عن أنّه يأخذ بُعداً أمنياً عسكرياً، إلّا أنّ الإعتبارات الإقتصادية تأخذ أيضاً حيّزا كبيراً في السياسات التركية تجاه شرق المتوسط، حيث إنّ حصول تركيا على منطقة إقتصادية أكبر في البحر المتوسط وبحر إيجه بالإضافة إلى مناطق نفوذ في قبرص وليبيا سوف يسمح لها بالقيام بأنشطة التنقيب واستخراج حصص كبيرة من الثروات المكتشفة في شرق المتوسط، بالإضافة إلى إمكانية التأثير على كل الأنشطة العسكرية والتجارية التي يمكن أن تحصل في هذه المنطقة.

هذا فضلاً عن الأهمية الإستراتيجية لليبيا لغناها بالموارد الطبيعية، لا سيما النفط والغاز من جهة، ولموقعها الإستراتيجي الهام جداً من جهة أخرى، حيث إنّ حصول تركيا على موضع قدم في ليبيا قد يفتح لها فرصاً مستقبلية للتحرك نحو أفريقيا التي يحتدم حولها التنافس الدولي، فضلاً عن موقع ليبيا على البحر الأبيض المتوسط قبالة السواحل الأوروبية، وتحديداً قبالة السواحل اليونانية والإيطالية، أي قبالة البحر الأدرياتيكي.

وهنا نعود إلى ما أشرنا إليه سابقا في الصفحة 61، لجهة أنّ بعض صنّاع القرار في تركيا يرون أن الدفاع عن غرب تركيا يبدأ من البحر الأدرياتيكي، الذي يشكل نقطة ارتكاز مهمة في العقل الإستراتيجي التركي الذي يتبنّى رؤية "العالم التركي من الأدرياتيكي إلى سور الصين العظيم"[2]، حيث يمتلك هذا البحر أهمية كبيرة في السياسة الخارجية التركية نظراً لاعتباره بوابة تركيا إلى البلقان الذي لا يصدّها عنه برياً سوى اليونان.

أما بالنسبة لمصر، فقد أدت مسألة التدخل في ليبيا والإتفاقيتين البحرية والعسكرية بين الجانبين التركي والليبي إلى زيادة توتر العلاقات بين تركيا ومصر، حيث يعود توتر العلاقات بينهما إلى العام 2013، على إثر قيام

---

[1] عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية: الإتجاهات والتحالفات المرنة وسياسة القوة، مرجع سابق، ص: 144-145.

[2] سلجوق تركيلماز، ثراء الجغرافيا التركية من البحر الأدرياتيكي إلى سور الصين العظيم، يني شفق، آخر تحديث: 10 تشرين الثاني 2022، آخر زيارة 1 أيلول 2024، (https://www.yenisafak.com/ar/columns/selcuk-turkyilmaz/2045049).

الجيش المصري بالإطاحة بالرئيس السابق محمد مرسي الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين المحسوبة على تيارات الإسلام السياسي المقربة من حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا.

كما أدى هذا التوتر في العلاقات بين مصر وتركيا إلى قيام مصر بانتهاج سياسات مناوئة للمصالح التركية، لا سيما لجهة عقد تحالفات إقليمية معادية لتركيا مثل منتدى غاز شرق المتوسط الذي يعتبر بمثابة شراكة بين مصر واليونان والكيان الإسرائيلي وقبرص في مجال استخراج وبيع والتنقيب عن الغاز الطبيعي في شرق المتوسط. كما تم توقيع اتفاقية الحدود البحرية بين مصر واليونان في العام 2020، حيث تم تحديد المنطقة الإقتصادية الخالصة لليونان انطلاقاً من وجهة النظر اليونانية، وبالتالي، بما يتعارض مع الرؤية التركية. كما اعتُبرت هذه الإتفاقية الأخيرة بمثابة ردٍ على الإتفاقية البحرية بين تركيا وليبيا[1]، وبالإضافة إلى ذلك قامت مصر بدعم قوات حفتر في ليبيا ضد حكومة فايز السراج المدعومة من الجانب التركي.

وبشكلٍ عام، تُعتبر مسألة الإحتياطيات المكتشفة من الغاز الطبيعي في شرق المتوسط من أهم العوامل التي تساهم في رسم السياسات الخارجية لدول هذا الإقليم، فعلى سبيل المثال، على الرغم من أن الخصومة بين اليونان وتركيا تعود إلى عهد السلطنة العثمانية وتمتلك جذوراً تاريخية وثقافية، إلّا أنّ "اكتشاف الهيدروكربون والغاز في منطقة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط قد أدى إلى تكثيف التنافس الجيوسياسي بين البلدين، حيث يحتدم التنافس بينهما على السيطرة على حقوق استكشاف الطاقة وإنتاجها"[2].

إنّ مسألة النزاع على السيادة على أجزاء من البحار القريبة من المناطق التي تتداخل فيها المصالح الجيوإستراتيجية لكلٍ من الدولتين، أو على السيادة على الجزر المنتشرة في بحر إيجه، تعتبر من أهم المحددات التي تؤثر في السياسات الخارجية التركية في شرق المتوسط، حيث إنّ اتفاقية السلام الإيطالية التي أُبرمت في العام 1947، قد أعطت تلك الجزر، بالإضافة إلى جزيرة رودس لليونان، شريطة أن تكون منزوعة السلاح،

[1] عماد قدورة، السياسة البحرية التركية في المتوسط والتدخل العسكري في ليبيا، مرجع سابق، ص: 4، بتصرّف.

[2] Mustafa Aydin, Turkish Greek Relations: The Security Dilemma in The Agean, Routledge, London, 2015, P: 343.

لكن هذا الشرط لم تتم مراقبته بشكل جدي، مما أدّى إلى تعرض أمن الحدود التركية إلى التهديد الدائم جراء ذلك، وبالتالي، أصبحت مسألة جرز بحر إيجه من أكثر المسائل المحورية في التوجهات الجيوبوليتيكية التركية[1].

لا سيما أنّ اليونان عملت على استغلال موقع هذه الجزر الواقعة بمحاذاة الساحل التركي كقواعد يونانية متقدمة للضغط على تركيا في المجالين الأمني والإقتصادي، وقد أشرنا سابقاً إلى أن اليونان تعمل على الإستفادة من سيادتها على هذه الجزر للحصول على منطقة اقتصادية ضخمة في البحر الابيض المتوسط وبحر إيجه، وبالتالي، تحجيم فرص تركيا في الحصول على حصص كبيرة من ثروات شرق المتوسط.

بالنسبة لتركيا، فإنّ المشكلة تكمن في التناقض بين الواقع الجيولوجي والجيوسياسي في المنطقة، حيث "قُسّمت الجزر تقسيما سياسيا لصالح اليونان في الإتفاقيات الدولية، بالرغم من أنها تعتبر –من وجهة النظر التركية– امتداداً لشبه جزيرة الأناضول"[2]. وهذا ما يُفسر الإهتمام التركي بهذه المنطقة من الناحية الأمنية عبر تركيز تركيا على تطوير أسطولها البحري الهجومي، حيث "تسلمت القوات البحرية التركية في العام 2023 سفينة (تي سي جي أناضول TCG Anadolu)، وهي أكبر سفينة هجومية برمائية في الأسطول البحري التركي"[3]. بالإضافة إلى إجراء القوات البحرية التركية مناوراتٍ عسكرية بشكل دوري في هذه المنطقة، كان آخرها مناورة ذئب البحار في نسختها الثانية والتي أجرتها البحرية التركية قبالة سواحل مدينة موغلا (Mugla)، التي تقع في جنوب غرب تركيا قبالة أرخبيل الجزر اليونانية التي تحيط بالحدود الغربية التركية"[4].

أما عن إقليم آسيا الوسطى، فُتعتبر جمهوريات وسط آسيا دولاً حديثة النشأة على صعيد المسرح السياسي الدولي، حيث ظهرت هذه الدول ككيانات سياسية مستقلة في بداية التسعينات بعد قرون من الحكم القيصري

---

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 180، بتصرّف.

[2] المرجع نفسه، ص: 197.

[3] Turkish Navy launches UAV and helicopter carrier TCG Anadolu, Euro news, Last Update: 11 April 2023, Last Visit: 13 August 2024, (https://www.euronews.com/2023/04/11/turkish-navy-launches-uav-and-helicopter-carrier-tcg-anadolu).

[4] Turkish military holds large-scale naval exercise in east Med, Hürriyet Daily News, Last Update: 12 May 2024, last Visit: 13 August 2024, (https://www.hurriyetdailynews.com/turkish-military-holds-large-scale-naval-exercise-in-eastern-med-193446).

الروسي ثم السوفييتي، ومما لا شك فيه، أنّ الفراغ الجيوسياسي الذي تركه انهيار الإتحاد السوفييتي الذي كان يهيمن على هذه الدول، قد حرّك شهية العديد من الدول للإستفادة من الوضع الراهن ومحاولة ملأ هذا الفراغ بما يضمن لها موقعاً مهماً في هذه المنطقة المحورية من العالم.

من هذا المنطلق، "كانت تركيا من أوائل الدول التي اعترفت بجمهوريات آسيا الوسطى في بداية التسعينات وأقامت علاقات دبلوماسية معها، وقد كان هذا القرار مدفوعا بالعديد من العوامل، ومنها إيمان صانعي السياسة الأتراك بالوحدة التركية"[1]، حيث حاولت تركيا مد نفوذها إلى آسيا الوسطى مستفيدةً من الروابط التاريخية واللغوية والثقافية التي تجمعها مع الشعوب التي تسكن تلك المنطقة، كما قامت تركيا في إطار إستراتيجيتها للتمدد في هذه الدول بتنفيذ العديد من التحركات التي من شأنها إعادة إحياء الروابط بينها وبين شعوب هذا الإقليم.

ففي "العام 1992، قامت تركيا بإنشاء الوكالة التركية للتعاون والتنسيق (TIKA)، التي تهدف إلى تعزيز العلاقات الثنائية بين تركيا والدول الأخرى، لا سيما دول آسيا الوسطى، وفي العام 1993 تم إنشاء المنظمة الدولية للثقافة التركية، والتي تضم تركيا وأذربيجان وكازاخستان وقيرغزستان وتركمنستان وأوزبكستان، للإشراف على التراث والثقافة المشتركة بين الدول الأعضاء، كما تم في نفس العام إطلاق قناة (TRT Avarasy) التي تستهدف الجماهير الناطقة باللغة بالتركية في جمهوريات آسيا الوسطى"[2].

كما عملت تركيا على تقوية نفوذها الإقتصادي في هذه المنطقة، حيث "بلغ حجم التبادل التجاري بين تركيا وجمهوريات آسيا الوسطى في العام 2020 حوالي 6,2 مليار دولار، كما يوجد حوالي 4 آلاف شركة تركية تزاول نشاطها في دول آسيا الوسطى ويتواجد نصفهم تقريباً في كازاخستان[3]. وفي العام 2009، تم تأسيس مجلس تعاون الدول الناطقة بالتركية والذي عُرف باسم المجلس التركي، ليقرر الأعضاء لاحقاً تغيير اسمه إلى منظمة الدول التركية في العام 2021. وتضم هذا المنظمة خمسة أعضاء هم أذربيجان، وكازاخستان،

---

[1] محمد الرميزان، السياسة الخارجية التركية نحو آسيا الوسطى في عهد أردوغان، إندماج القومية التركية الجامعة والبراغماتية والإسلاموية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2022، ص: 11.

[2] محمد الرميزان، مرجع سابق، ص: 11-12.

[3] المرجع نفسه، ص: 19، بتصرّف.

وقيرغيزستان، وتركيا، وأوزبكستان، بالإضافة إلى دولتين مراقبتين هما المجر وتركمانستان–، ويشكل عدد سكان الدول الأعضاء في هذه المنظمة حوالي 170 مليون نسمة، كما يبلغ حجم الناتج المحلي الإجمالي لجميع الأعضاء حوالي 1.5 ترليون دولار.[1]

بالإضافة إلى ذلك، تستعمل تركيا أسلوب القوة الناعمة بشكل كبير في سياستها تجاه هذه المنطقة، حيث تنشط المراكز الثقافية التركية التي تُعرف بمعاهد "يونس إمره"، والتي تهدف إلى نشر الثقافة واللغة والتراث التركي في جميع أنحاء العالم وخصوصا في هذه الدول التي باتت تعتبرها تركيا جزءاً لا يتجزء من عمقها الإستراتيجي.

كما تركز تركيا أيضاً على التعاون الثقافي والعلمي مع جمهوريات آسيا الوسطى، من خلال تقديم المنح التعليمية للطلاب من هذه الدول واستقطابهم إلى تركيا باعتبارهم مشاريع قادة مستقبليين، بالإضافة إلى إقامة برامج التبادل الثقافي والطلابي الرامية لترسيخ الإنتماء التركي لدى الأجيال الناشئة في هذه المنطقة، كما يوجد العديد من المدارس الدينية وغير الدينية التي تمولها وتديرها جهات تركية في غالبية هذه الدول.[2]

وفضلاً عن الإعلام الرسمي والتقليدي الذي يتمثّل في القنوات التلفزيونية الموجهة نحو جماهير هذه الدول، تستخدم تركيا عدة أدوات أخرى من أدوات القوة الناعمة، كالأعمال الدرامية التي يتم انتاجها خصيصاً بهدف إحياء التراث التركي والتي تهدف إلى الإضاءة على مسألة أصول الشعوب التركية التي جاءت في الأصل من آسيا الوسطى وأقامت دولها في الأناضول، بدءاً من السلاجقة إلى العثمانيين، بالإضافة إلى تركيز هذه الأعمال الدرامية على تأجيج مشاعر الوحدة والترابط الديني الذي كان سائداً قبل سيطرة روسيا على هذه المناطق وقبل نشوء الدول الحديثة التي تبنت المفهوم العلماني في الحكم بعيداً عن المفاهيم الدينية أو العرقية.

---

[1] Genevieve Donnellon-May, Turkey's Growing Influence in Central Asia, The Diplomat, Last Update: 13 October 2022, Last Visit: 25 August 2024, (https://thediplomat.com/2022/10/turkeys-growing-influence-in-central-asia/).

[2] صحيفة الإستقلال، القوة الناعمة التركية: المفهوم ومؤشرات الصعود، تاريخ النشر: آب 2020، آخر زيارة: 22 آب 2022، (https://www.alestiklal.net/ar/article/dep-news-1587827879)، بتصرّف.

بالإضافة إلى هذه العوامل التي سبق ذكرها، تُعدّ وفرة الموارد الطبيعية في دول آسيا الوسطى من أهم مرتكزات السياسات الخارجية التركية تجاه هذه المنطقة. حيث إن النفوذ التركي في هذه الدول يضمن لها مكانة مؤثرة في أسواق الطاقة العالمية، وبالتالي، يمنحها أداةً من أدوات القوّة التي تستعين بها الدول الكبرى والإقليمية على تنفيذ الإستراتيجيات الرامية إلى الحفاظ على المصالح القومية في الداخل والخارج، إضافةً إلى منحها مكانة مؤثرة في أسواق الطاقة التي تُعد شريان حياة الإقتصاد العالمي لا سيما بالنسبة للدول الصناعية، مما يعزز مكانتها على الصعيدين الإقليمي والدولي.

وبما أنّ أمن الطاقة بات يحظى باهتمام كبير في جميع دول العالم، حيث تسعى كل دولة لتأمين نفسها ضد التقلبات الجيوسياسية والأمنية التي تؤثر على مصادر الطاقة وطُرق تصديرها، سواءً الحروب كما في حالة أوروبا مع الحرب الروسية الأوكرانية، أو التوترات السياسة التي ينجم عنها استخدام الطاقة كأداة من أدوات السياسة الخارجية. وتشمل عملية ضمان أمن الطاقة العديد من الممارسات، أهمها العمل على ترشيد الإستفادة من الموارد الموجودة في الدولة، بالإضافة إلى تنويع مصادر الإستيراد من شركاء موثوقين، فضلاً عن تأمين الطرق التي تمر بها هذه الموارد في طريقها إلى الدولة، مثل الأنابيب وخطوط التجارة البرية والبحرية.

وإنّ قدرة أي دولة على امتلاك نوع من النفوذ أو التحكم بطرق توريد الطاقة لا يُشكّل ميزةً لها على صعيد أمنها الطاقوي فحسب، بل يُعطيها أيضاً مكانةً متميّزة على الصعيد العالمي كدولة فاعلة في مجال الطاقة الذي يُعد حيوياً لكافة قطاعات الدولة بدءاً من الإقتصاد وصولاً إلى الدفاع. لهذا تسعى تركيا بكل الوسائل الممكنة إلى المضي قدُماً في التنقيب عن مصادر الطاقة الموجودة لديها وخصوصاً في شرق المتوسط، بالإضافة إلى تقوية نفوذها في المناطق القريبة من خطوط نقل مصادر الطاقة، فضلاً عن تقوية موقعها كممر عالمي لنقل النفط من الشرق إلى الغرب، لا سيما خطوط نقل مصادر الطاقة من روسيا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط إلى أوروبا من خلال موانئ تركيا أو عبر خطوط الأنابيب التي تمر عبر الأراضي التركية.

كما إن تركيا من خلال تركيزها على علاقتها بهذه الدول، أي دول آسيا الوسطى، تبحث عن بدائل لتعاونها الإقتصادي مع شركائها الآخرين سواء الغرب أو روسيا، خصوصاً في مجال الطاقة، فعلى الرغم من إكتشاف

إحتياطات هائلة من النفط والغاز في البحر الأسود وشرق المتوسط، فإن تركيا لا تزال تعتمد بشكل كبير على المصادر الخارجية لتأمين إحتياجاتها من مصادر الطاقة.

كما إنّه في ظل العقوبات الأميركية المفروضة على إيران، وتلك التي فُرضت مؤخراً على روسيا، تعتبر تركيا أن جمهوريات وسط آسيا يمكنها أن تُشكّل بدائلاً أقلّ حساسيةٍ لاستيراد الطاقة وتجنب خرق العقوبات الغربية. وكجزء من هذه الإستراتيجية، تنشط تركيا بشكل كبير في مجال تشجيع الإستثمار وتطوير البنية التحتية في آسيا الوسطى لربط هذه المنطقة بتركيا، بما يُسهّل تحقيق أهدافها الجيوسياسية المتعلقة بممرات الطاقة والأمن الطاقوي.

كما تُعدّ مبادرة "ممر النقل بين الشرق والغرب"، إحدى المبادرات التي تعطي مثالاً واضحاً عن طبيعة الطموحات التركية تجاه هذه المنطقة، حيث يهدف مشروع أنابيب النقل عبر بحر قزوين Trans-Causcasian Pipeline، إلى ضخ الغاز من تركمانستان إلى أذربيجان ثم إلى ممر الغاز الجنوبي الذي يمر عبر تركيا إلى جنوب شرق أوروبا.[1] وبالإضافة إلى محاولات تعزيز ممرات الطاقة العالمية، تسعى تركيا أيضاً إلى تعزيز موقعها كممر تجاري عالمي، حيث وصل أول قطار يتّجه من الصين إلى تركيا ثم إلى أوروبا (قطار شيآن-أنقرة-براغ) إلى الأراضي التركية في نوفمبر 2019، بالإضافة إلى إنشاء خط سكة حديد باكو-تبليسي-قارس، الذي يُشكّل جزءاً من مبادرة "حزام واحد وطريق واحد" الصينية.[2]

ولا تقتصر محددات السياسات التركية تجاه آسيا الوسطى فقط على المسائل الإقتصادية والإستراتيجية التي تتعلق بالطاقة، بل أيضاً يُشكل العامل الديني، واحداً من أهم العوامل التي تحفز العلاقات بين تركيا والشعوب ذات الأغلبية المسلمة في هذه المنطقة، لا سيما أن تركيا نشأت على أنقاض الدولة العثمانية التي كانت مركز الخلافة الإسلامية، فضلاً عن أن مفهوم العثمانية الجديدة، وما ينطوي عليه من محاولة استرجاع الوحدة بين

---

[1] Genevieve Donnellon-May, Op.Cit, (https://thediplomat.com/2022/10/turkeys-growing-influence-in-central-asia/).

[2] The Official Website of The Organization of Turkish States, Last Update: 2024, Last Visit: 25 August 2024, (https://www.turkicstates.org/en/isbirligi-alanlari#2-economic-cooperation).

الشعوب المسلمة وتعزيز الروابط بينها قد عزز مكانة تركيا بين العديد من الشعوب الإسلامية، لا سيما شعوب وسط آسيا.

أمّا على الصعيد العسكري– الأمني، فإن موقع دول آسيا الوسطى، لا سيما موقع كازاخستان التي لديها حدود طويلة جداً مع روسيا من جهة الشمال، يُشكلّ أهمية كبرى في استراتيجية الأمن والدفاع التركية، حيث إنّ هذه الحدود تقع بملاصقة المقاطعات الروسية الجنوبية القريبة من العاصمة موسكو والمدن الروسية المهمة، مما يجعل موقع كازاخستان مؤثراً جداً من الناحية العسكرية والأمنية على روسيا. بينما تشكل بقية دول آسيا الوسطى عمقاً إستراتيجياً يصِل تركيا بكازاخستان، عبر المرور بمنطقة القوقاز، لا سيما أذربيجان ثم بحر قزوين للوصول إلى هذه المنطقة المهمة جداً على الصعيد العسكري–أي منطقة الحدود الروسية الكازاخية–.

ويعود سبب الإهتمام التركي بالحصول على موضع قدمٍ في منطقة جغرافية مؤثرة على أمن الحدود وأمن عمق الأراضي الروسية إلى عدة عوامل، أهمها الخصومة التقليدية بين تركيا وروسيا، والتي لم يستطع التعاون بين البلدين في عدة مجالات منذ فترة التسعينات إلى يومنا هذا بأن يمحو ذلك التاريخ الضخم من حالة الخصومة التي عاشها الجانبان على مدى قرونٍ من الزمن. هذا بالإضافة إلى وجود مطامع تاريخية للروس في بعض الأقاليم التركية مثل مدينتي قارس وأردخان، بالإضافة إلى الطموحات الروسية بالسيطرة على المضائق التركية.[1]

حيث ترى تركيا، أنّه من الضروري بالنسبة لها أن تحافظ على المواضع التي تستطيع استخدامها كورقة ضغط على روسيا، لردعها عن التفكير في التمدد نحو الأراضي التركية، وإنّ النفوذ التركي في هذه المناطق لا يُشكل فقط حالة من الردع تجاه الطموحات الروسية، بل أيضاً نقطة انطلاقٍ نحو طموحات تركية في الحصول على نفوذ داخل بعض الأقاليم الروسية، لا سيما الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة الواقعة في مناطق القوقاز الروسي كالشيشان وداغستان.

ولهذه الأسباب، تسعى تركيا لتعزيز وجودها العسكري في آسيا الوسطى من خلال التعاون مع دول هذه المنطقة في هذا المجال، من خلال تبادل الخبرات العسكرية وتدريب عناصر القوات المسلحة لهذه الدول، بالإضافة إلى

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 151، بتصرّف.

كون تركيا من أهم مصدّري الأسلحة لدول هذه المنطقة، كما تُعتبر تركيا الخيار المفضل لهذه الدول، نظراً لكون التكنولوجيا العسكرية التركية تشكّل بديلاً فعالاً وأقلّ تكلفة من التكنولوجيا العسكرية الغربية والروسية.

كما تسعى تركيا من خلال تعزيز موقعها في آسيا الوسطى، إلى موازنة النفوذ الروسي والصيني في المنطقة، مما يعطي هذا الدور بعض القبول لدى الغرب، الذي يسعى إلى تقليص النفوذ الإقليمي لروسيا والصين في هذه المنطقة، ويرى في تركيا، باعتبارها عضواً في حلف الناتو، بديلاً مناسباً لهذه الدول في العديد من المناطق، لا سيما تلك المناطق ذات الأغلبية المسلمة، حيث يرى الغرب في تركيا نموذجاً للإسلام العلماني الذي يُفضّله عن نموذج الإسلام السياسي أو النماذج الإسلامية التي يصنفها الغرب ضمن إطار التشدد أو الإرهاب.

باختصار، تسعى تركيا من خلال استراتيجيتها الإقليمية إلى موازنة تجاذباتها السياسية مع الشرق والغرب، لا سيما مع الولايات المتحدة وروسيا، حيث إنّ مجمل السياسات الخارجية التركية تقوم على الإستفادة من التناقضات وحالات الفراغ السياسي والجغرافي التي تنتج عن التنافس الذي يحصل بين الدول الكبرى والإقليمية، بهدف استحداث أوضاع جديدة تخدم الطموحات التركية، وسيتم تناول هذه المسألة بالتفصيل في الفصل التالي.

المبحث الثاني: الدور الإقليمي التركي وانعكاساته على العلاقات الدولية

إنّ فهم أثر ومآلات دور تركيا كقوة إقليمية سواء في إقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، أو في الأقاليم الأخرى التي تهتم بها تركيا من جهة كونها مناطق نفوذٍ فعليّة أو مُحتملة، لا يُمكن أن يتم بصورة دقيقة إلّا من خلال تناول هذا الدور في إطار بداياته وأهدافه ومساقه التاريخي من جهة، وتأثير التوازنات والأوضاع الدولية السائدة ومدى قدرة تركيا على ممارسة سياساتٍ خارجية فعالة في ظل هذه الأوضاع من خلال الإمكانيات والأدوات التي تتوفر لديها من جهة أخرى.

لذلك، فإنّ عملية وضع الدور الإقليمي التركي في هذين الإقليمين في إطار تحليلي شامل لفهم جوهر تأثيره على النظام الدولي والعلاقات الدولية المكونة لهذا النظام، يتطلب استعراضاً مختصراً ووافياً للسياق التاريخي الذي أفسح المجال أمام دولٍ متعددة –سواء تركيا أو غيرها– للبروز على الساحة السياسية العالمية فيما يُعرف بظاهرة الدول الإقليمية، بالإضافة إلى فهم كيفية تعامل هذه الدول مع التغيرات الدولية والاستفادة منها لتحقيق مصالحها القومية، فضلاً عن تحليل أثر تحركات هذه الدول على التوازنات والأوضاع الإقليمية والعالمية.

المطلب الأول: السياق التاريخي لبروز تركيا كدولة إقليمية

إنّ من أكثر الملامح التي ميّزت المشهد السياسي الدولي في فترة ما بعد العام 2001، هي كثرة الفواعل الدولية الطامحة للحصول على مقعد في ما يُتعارف على تسميته بالنظام العالمي الجديد قيد التشكّل، حيث يُمكن اعتبار العام 2001 أول نقطة انطلاقٍ نحو شكل جديد كلياً لبنية العلاقات الدولية السائدة في العالم، فلأوّل مرّة منذ قرون، لا تكون الدول الكبرى هي وحدها التي تمتلك أدوات التأثير في المشهد السياسي العالمي، لا سيما مع ظهور ما يُعرف بالفواعل من غير الدول، والتي كان لها تأثير محوري على السياسة العالمية في تلك الفترة.

كانت هجمات الحادي عشر من سبتمر من العام 2001، والتي استهدفت برجي التجارة العالميين في مدينة نيويورك ووزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، بمثابة صدمة للولايات المتحدة الأميركية التي لطالما اعتبرت نفسها –لأسباب جغرافيةٍ–، مُحصّنة ضدّ أي هجومٍ خارجي، بفضل موقعها بين المحيطين الهادي والأطلسي، الأمر

الذي مكنّها من إدارة كافّة صراعاتها مع خصومها الدوليين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية دونما أدنى ضررٍ جسيم ومباشر للأراضي أو المصالح الداخلية الأميركية.

ومثلما أدّت الهجمات اليابانية على قاعدة بيرل هاربر (Pearl Harbor) الجوية الأميركية الواقعة في المحيط الهادئ إلى إيقاظ الهواجس الأمنية الأميركية، وبالتالي دفع الولايات المتحدة الأميركية إلى الدخول في الحرب العالمية الثانية، فقد أدّت هجمات الحادي عشر من سبتمبر والتي يُطلِق عليها الأميركيون اسم The Second Pearl Harbor، أي بيرل هاربر الثانية، إلى ضرب الشعور الأميركي بالأمان التام بين المحيطين الهادئ والأطلسي، لا سيما في وقتٍ كانت فيه الولايات المتحدة تعيش في حالة من وهم القوّة المفرطة بعد تفكك المعسكر الشيوعي وانهيار الإتحاد السوفييتي، واعتقاد الولايات المتحدة الأميركية أنّها خرجت من الحرب الباردة منتصرةً على خصومها، وبالتالي فقد حان الوقت لكي تكون القوة الوحيدة التي تتحكم بمفاصل النظام العالمي.

لكن قدرة أحد الفواعل من غير الدول، أي تنظيم القاعدة، على استهداف أراضي الولايات المتحدة الأميركية بشكلٍ مباشر، –و هو الأمر الذي لم يُقدم عليه حتى السوفييت حينما كانوا في أوج قوتهم العسكرية–، قد أدّى إلى تحوّلٍ كبيرٍ في قناعات النخبة السياسية في الولايات المتحدة الأميركية، حيث أدرك الأميركيون أنّ هيمنة الولايات بشكلٍ منفرد على مفاصل النظام العالمي، لم يمنع استحداث أزماتٍ قد لا تستطيع الولايات المتحدة الأميركية حلّها أو منعها أو السيطرة عليها، أو الحؤول دون امتداد تداعيات هذه الأزمات إلى الداخل الأميركي، لا سيما من الناحية الأمنية.

وبالتالي، تمثلّت القناعات الأميركية حينها، بضرورة التعاون مع الفواعل الدولية التي تستطيع التأثير على الأوضاع السياسية والإقتصادية والأمنية في مختلف مناطق العالم، خصوصاً مناطق الأزمات، شريطة أن تحتفظ الولايات المتحدة الأميركية بوضعها الدولي كقوة مؤثرة –أو مهيمنة– على كافّة الفواعل الدولية الأخرى، إذ اعتبر حينها وزير الخارجية الأميركي الأسبق وأحد أشهر منظّري السياسة الخارجية الأميركية هنري كيسينجر، أنّ النظام العالمي الجديد يجب أن يُبنى على "التعاون الدولي وفقاً لقواعد يتفق عليها الجميع، بحيث تشمل الثقافة

الصينية والروسية والإسلامية والأوروبية وغيرها، كما يجب أن تجمعهم المصلحة العامة والمشتركة، بهدف منع الحركات المتطرفة من أن تنجح في إرباك هذا النظام"[1].

بتعبيرٍ آخر، لقد أدرك الأميركيون بعد نحو عشر سنواتٍ من تفرّدهم بقيادة النظام العالمي في فترة ما بعد الحرب الباردة، أنّ كافّة قدراتهم الإقتصادية والعسكرية الفائقة لم تكن وحدها كافيةً لمنع خصوم الولايات المتحدة الأميركية من مهاجمتها في عقر دارها؛ وبالتالي، كان لا بُدّ من أن تسلّم الولايات المتحدة الأميركية بحقيقة أنها لا تستطيع وحدها قيادة المشهد السياسي الدولي بما يضمن حماية أمنها ومصالحها بالشكل المطلوب، وعليه، فلا بُدّ من إفساح المجال أمام دولٍ أخرى للعب دورٍ ما في ما يُسمّى بالنظام العالمي الجديد.

لكنّ التعبير الإنكليزي، World Order، الذي تناولته الأوساط السياسية والإعلامية الأميركية في تلك الفترة، والذي تمّت ترجمته إلى العربية بعبارة "النظام العالمي الجديد"، لا يعني كلمة نظام بمعناها الدقيق، والتي توحي بوجود هيكلية معينة تتبنّى قوانيناً وممارساتٍ يخضع لها جميع المنتسبين لهذا النظام. حيثُ إنّ الترجمة الدقيقة لكلمة Order في سياق ما تحدّث عنه الأميركيون في تلك الفترة تعني ""تراتبية" أكثر مما تعني "نظام".

ومعنى ذلك، أنّ الولايات المتحدة الأميركية لم تُرِد إنشاء "نظام عالمي جديد" يُشاركها فيه العديد من الفواعل الدولية في النفوذ والتأثير العالمي بدلاً من نظام القطب الواحد، بل أرادت إرساء "تراتُبية دولية جديدة"، بحيث تحتفظ الولايات المتحدة بموقعها كالدولة الأعلى رتبةً في المشهد السياسي الدولي، بينما تقوم باقي الدول بممارسة بعض الأدوار الفرعية التي تتماشى مع الرؤية الأميركية لما يجب أن تكون عليه التفاعلات الدولية، على أن تُمارَس هذه الأدوار تحت إشراف الولايات المتحدّة وبما لا يُشكّل خطراً على المصالح الأميركية أو على مكانة الولايات المُتحدة كقائدٍ أوحد للنظام العالمي.

وإنّ بروز هذه الفلسفة الأميركية الجديدة تزامنت مع قيام الولايات المتحدة –مدفوعةً بحالة الصدمة التي أصابتها بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر–، بتبنّي أسلوب استخدام القوّة المفرطة ضدّ خصومها، والذي تمّت ترجمته

---

[1] باسم راشد، ماذا يقول هنري كيسينجر عن تحولات النظام العالمي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، آخر تحديث: 29 أيلول 2014، آخر زيارة: 16 آب 2024، (مركز المستقبل – ماذا يقول "كيسنجر "عن تحولات النظام العالمي (futureuae.com).

عملياً خلال غزو أفغانستان والعراق في العامين 2001 و2003، ولم تستطع حينها أية دولة الإعتراض على الخروقات الأميركية للمبادئ التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدّة حول الدفاع عن النفس والحرب الإستباقية.

حيث كان شعار "من ليس معنا فهو مع الإرهاب"، الذي تبنّته إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش في تلك الفترة، بمثابة محاولاتٍ أميركيةٍ لإجبار للمجتمع الدولي على تبنّي الرؤية الأميركية حول كيفية التعامل مع التهديدات التي شكّلتها الجماعات المتطرفة وبعض الأنظمة المناوئة للمصالح الأميركية، وإلا اعتُبر كل معارضٍ لهذه الرؤية داعماً للإرهاب. وبالتالي، عبّر أيضاً هذا التوجه عن أنّ كل من يُعارض المصالح الأميركية أو الأسلوب الأميركي في إدارة النظام الدولي، قد يواجه أيضاً نفس المصير الذي واجهته كل من أفغانستان والعراق بحجة دعم الإرهاب.

ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ قيام الولايات المتحدة الأميركية بغزو العراق، كان لهُ انعكاسات سلبية على صورة وسمعة الولايات المتحدة الأميركية وعلاقتها بالمجتمع الدولي، أكثر بكثيرٍ من غزو أفغانستان؛ إذ أن الأخير كان له تبريراتٍ أكثر منطقية لجهة اتخاذ تنظيم القاعدة لبعض مناطق أفغانستان ملاذاً له، بالإضافة إلى تعاطف المجتمع الدولي آنذاك مع الولايات المتحدة بعد الضربة التي تلقتها، لا سيما أن معظم الضحايا كانوا من المدنيين، إلّا أنّ قيام الولايات المتحدة الأميركية بغزو العراق كان مُستنكراً بشكل أكبر من قبل المجتمع الدولي، لأنّه بُني على إدعاءات غير مستندة إلى دليل حقيقي عن وجود أسلحة دمار شامل في العراق أو وجود ارتباطات بين نظام الرئيس العراقي آنذاك صدّام حسين وبين تنظيم القاعدة.

وإنّ هذا المناخ الذي ساد في تلك الفترة جرّاء أسلوب القوة المُفرطة في تعامل الولايات المتحدّة ليس فقط مع خصومها، بل مع من يعترض على أسلوبها في التعامل معهم ووصفه بأنّه داعمٌ للإرهاب، قد أدّى إلى شيوع حالةٍ من انعدام الثقة بالولايات المتحدة لدى العديد من الدول، وكان هنالك سؤالٌ مُلحٌّ يُسيطر على أذهان القادة السياسيين حول العالم، وهو: ما الذي يمنع أن نُواجه نحن نفس المصير الذي لاقته أفغانستان أو العراق في حال قدّرت الولايات المتحدة الأميركية مستقبلاً، أن وجودنا أو سياستنا تُشكّل خطراً على المصالح الأميركية والوضع الراهن الذي تتبنّاه الولايات المتحدة كوضعٍ مقبول للحفاظ على مصالحها وهيبتها الدولية؟

إنّ شيوع حالة انعدام الثقة بالولايات المتحدة لدى العديد من الدول، تزامناً مع إدراك الولايات المتحدة الأميركية لضرورة التعاون مع العناصر المكونة للمجتمع الدولي في إدارة المشهد السياسي العالمي، لا سيما في بعض المناطق المعينة أكثر من غيرها، قد شكّل بيئةً خصبة أمام العديد من الدول، التي تزايدت هواجسها الأمنية بسبب السلوك الأميركي، لاتخاذ بعض الإجراءات التي من شأنها تطوير إمكانياتها ونفوذها، لا سيما في المناطق المحيطة بها، بالإضافة إلى السعي إلى تطوير علاقاتها مع الدول والفواعل الدولية الأخرى بهدف تكوين ما يشبه الأحلاف أو التكتلات الإقليمية أو الدولية، التي من شأنها تعزيز مكانة هذه الدول في المشهد السياسي الدولي وزيادة حصانتها السياسية والأمنية ضدّ أي سلوك خارجيّ قد يُهدد أمنها ومصالحها. وبالتالي، كانت هذه البيئة السياسية الخصبة، هي الرحم الذي وُلدت منه ظاهرة ما يُعرف بالدول الإقليمية.

بدايات تبلور الدور الإقليمي لتركيا:

على الرغم من كون تركيا من أبرز حلفاء الولايات المتحدة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية، ورغم كونها ثاني أكبر قوة عسكرية في حلف شمال الأطلسي، إلّا أنّ كل هذا، لم يكن كافياً لجعلها مطمئنة على أمنها القومي، خصوصاً لناحية تنامي ظاهرة استخدام القوّة المفرطة من جانب الولايات المتحدة ضدّ خصومها، لا سيما أنّ مسألة صدقية التحالف بين تركيا والغرب بشكل عام ولا سيما مع الولايات المتحدة الأميركية، قد كانت منذ عقود من الزمن محل تشكيك من قبل الأتراك والغربيين على حدٍ سواء.

كانت أولى اللحظات المفصليّة التي كشفت عن مدى هشاشة التحالف بين تركيا والولايات المتحدة الأميركية، هي مسألة العلاقات بين تركيا وقبرص التي كانت تقع تحت النفوذ اليوناني، بعد اندلاع أعمال عنف بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين في العام 1963. كما دخل حينها الإتحاد السوفياتي على خط الصراع القبرصي لصالح القبارصة اليونانيين، حيث قام السوفيات بدعم حكم مكاريوس، الرئيس القبرصي آنذاك في الفترة من العام 1963 و1964، وذلك بسبب معارضة مكاريوس الإنضمام إلى الأحلاف العسكرية (ومنها الناتو)، واتباعه سياسة عدم الإنحياز، حيث اعتبر الغرب حينها أن العلاقات المقربة بين مكاريوس والسوفيات ستؤدي إلى حصول الإتحاد السوفييتي على موضع قدم في قبرص، وبالتالي، إحداث خرقٍ في سياسة الإحتواء

الأميركية التي كانت تهدف إلى منع الإتحاد السوفييتي من التمدد إلى خارج أراضيه لا سيما نحو شرق أوروبا، خصوصاً أن هذه الجزيرة تمتلك موقعا جيوسياسياً مؤثراً على شرق أوروبا بشكل كبير[1].

على إثر هذه الأوضاع، هددت الولايات المتحدة، عبر ما يُعرف برسالة الرئيس الأميركي ليندون جونسون، بترك الأتراك وحدهم في مواجهة الإتحاد السوفييتي إذا قامت تركيا بغزو قبرص[2]. وقد أدّى هذا السلوك الذي صدر عن الولايات المتحدة الأميركية تجاه تركيا إبان الأزمة القبرصية، إلى انهيار الإرتياح التركي بالوجود تحت مظلة الأمن الأطلسية، حيث اعتبر الأتراك أنّ الولايات المتحدة قد تُخالف مبادئ الحلف وتترك تركيا وحدها في مواجهة الخطر السوفييتي في حال قدّرت الولايات المتحدة أن مصالحها تتطلّب ذلك.

إلّا أنّ ذلك التهديد الأميركي لم يثني تركيا عن الإحتفاظ بنوايا التدخل في قبرص في حال وُجدت الفرصة المناسبة، لتقوم تركيا بعد 10 سنوات من رسالة جونسون بغزو جزيرة قبرص لإفشال الإنقلاب العسكري الذي كان يهدف إلى ضمّ قبرص إلى اليونان، مُستغّلة بذلك توتر الأوضاع الداخلية في الولايات المتحدة الأميركية بعد أزمة فضيحة واترجيت Watergate Scandal، التي تزامنت مع الإنقلاب في قبرص والتدخل العسكري التركي وأدت في نهاية المطاف إلى إستقالة الرئيس الأميركي نيسكون من منصبه في العام 1974.[3]

بالإضافة إلى هذه الأسباب، كان من مصلحة الولايات المتحدة الأميركية، ألّا تبقى جزيرة قبرص تحت حكم الرئيس مكاريوس الذي يحظى بمساندة السوفيات، وأيضاً، كان التدخل التركي في الجزيرة القبرصية يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأميركية، لا سيما بعد فشل ضم الجزيرة إلى اليونان؛ مخافة أن يتدخل الإتحاد السوفييتي لحماية الانقلابيين في قبرص، لأن انضمامها إلى اليونان سيجعلها عضواً في حلف شمال الأطلسي المعادي للسوفيات. لا سيما أن العديد من الأطراف ومنهم السوفييت كانوا ينظرون إلى الولايات المتحدة الأميركية

---

[1] أحمد جاسم ابراهيم حميد، القضية القبرصية..والصراع التركي – اليوناني في ظل الموقف الدولي 1960–1994، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد6، العدد 1، بابل، 2013، ص: 91، بتصرّف.

[2] عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية: الإتجاهات والتحالفات المرنة وسياسة القوة، مرجع سابق، ص: 96.

[3] Malcolm Farnsworth, The Scandal That Brought Down Richard Nixon, Watergate.info, Last Update: 26 August 2012, Last Visit: 25 August 2024, (https://watergate.info/).

على أنها العقل المدبر للإنقلاب، ولهذا فإنّ وجود تركيا، أي أحد أعضاء حلف شمال الأطلسي في شمال الجزيرة، سوف يشكّل عاملا رادعاً أمام احتمالات التدخل السوفييتي.[1]

إنّ التحرك التركي نحو شمال قبرص، يُعد أول خطوة قامت بها تركيا في إطار استراتيجيتها الإقليمية، لكنه في الوقت عينه، لا يخرج في نتائجه عن كونه مناورةً خدمت المصالح الإستراتيجية لحلف شمال الأطلسي، وتطبيقاً للدور الرئيسي الذي من أجله تمّ ضم تركيا للحلف، وهو منع الإتحاد السوفيتي من التوسع نحو المياه الدافئة في شرق المتوسط. كما إنّ محاولة الإنقلاب نجحت في تحقيق الأهداف الأميركية بوضع الجزيرة تحت سيطرة حلف شمال الأطلسي والإطاحة بمكاريوس الذي تنامت علاقاته مع المعسكر الإشتراكي.

وإنّ هذا السلوك الذي ينطوي على انتظار الفرصة المناسبة للتحرك بما لا يشكل تعارضاً حادّاً مع سياسات الدول الكبرى، يُعد من أكثر السلوكيات منطقيةً بالنسبة لأي دولة تريد الصعود إلى مصاف الدول الإقليمية. حيث إنّ الدول الإقليمية لا يمكنها أن تطور سياساتها الخارجية دون أن تأخذ المصالح الدقيقة للدول الكبرى بعين الإعتبار، "إذ يمكن للدول الإقليمية الإستفادة من النزاعات الحاصلة بين الدول الكبرى، عبر اتباعها سياساتٍ مرنة تُمكنها من تحقيق مصالحها الخاصة، بينما تقوم في نفس الوقت بلعب دورٍ فعّال في رسم وتنفيذ الإستراتيجيات الخاصّة بهذه الدول"[2].

كما كانت حيثيات عملية قبرص، هي الأرضية التي أرست عليها تركيا قواعد تعاملاتها اللاحقة مع الدول الكبرى فيما يتعلق بكيفية تحرك تركيا نحو تنفيذ السياسات الإقليمية الطامحة إلى توسيع نفوذ تركيا ومصالحها في مناطق مختلفة من العالم، إذ لا تزال تركيا إلى اليوم، تعتمد في هذه التحركات على موازنة علاقاتها بين الشرق الغرب، وقد كانت الخلافات الغربية السوفييتية –والروسية فيما بعد–، هي أكثر العوامل التي استفادت منها

[1] أحمد جاسم ابراهيم حميد، مرجع سابق، ص: 84، بتصرّف.

[2] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص:96-97.

تركيا وسمحت لها بالتوسع إقليمياً نحو المناطق التي تشكل أرضية خصبة لتوسع الدور الإقليمي التركي، لا سيما المناطق الواقعة سابقاً تحت الحكم العثماني.

كما كانت حرب البوسنة،التي حدثت بعد انهيار الإتحاد اليوغوسلافي الذي كان يضم عدداً من الجمهوريات الواقعة في منطقة البلقان، أحد الفرص التي استفادت خلالها تركيا من موقعها كعضو في شمال الأطلسي، حيث تدخل الحلف حينها بمشاركة تركيا لصالح البوسنة ضد القوات الصربية والكرواتية، لا سيما أن صربيا وكرواتيا، الجمهوريتان اللتان استقلتا حديثاً آنذاك، كانت لديهم علاقات مقربة مع السوفيات في أيام الإتحاد اليوغوسلافي، ثم جمعتهم بروسيا علاقات مقربة أيضاً بفضل الروابط الإجتماعية والدينية لا سيما لناحية "أنّ أغلب سكّان هذه المنطقة هم من الشعوب السلافية الأرثوذوكسية".[1]

شكّلت عودة تركيا إلى البلقان –ولو بشكل جزئي ضمن إطار مهمة حلف شمال الأطلسي–، بعد انقطاعٍ دام لعقود، محفزاً لحنين تركيا إلى الدور المؤثر التي كانت تلعبه الدولة العثمانية في هذه المنطقة، لا سيما بعد انتشار الأفكار المتعلقة بالعثمانية الجديدة منذ ثمانينات القرن الماضي مع صعود تورغوت أوزال إلى رأس السلطة في تلك الفترة.

لكنّ ضعف الإمكانات العسكرية لتركيا في ذلك الحين شكّل عائقاً أمام قدرة تركيا على ممارسة دورٍ فعال في هذه المنطقة، لا سيما أن الولايات المتحدّة الأميركية، قامت بتقليص صادرات الأسلحة إلى تركيا بعد الغزو التركي لشمال قبرص عام 1974.

وإنّ هذه الأزمات التي واجهتها العلاقات التركية الأميركية، لجهة اهتزاز الثقة بالتحالف مع الولايات المتحدة بعد رسالة ليندون جونسون وتقليص الولايات المتحدة لفرص تركيا في الحصول على صادرات الأسلحة الأميركية التي من شأنها تطوير القدرات العسكرية التركية، جعلت تركيا تأخذ في عين الإعتبار خيار التوجّه نحو الشرق لإعادة هيكلة العلاقات مع روسيا، التي لطالما اتسمت بالخصومة التي سببتها المعطيات التاريخية والجغرافية

[1] World Atlas, Serbia, Last Update: 25 February 2021, Last Visit: 18 August 2024, (https://www.worldatlas.com/maps/serbia).

وازدادت مع دخول تركيا في حلف شمال الأطلسي المعادي للروس، للإنتقال بها من مرحلة الخصومة إلى مرحلة جديدة من التعاون في إطار موازنة العلاقات التركية بين الشرق والغرب.

إنّ انعدام الثقة بمتانة التحالف التركي الأميركي لم يكن شعوراً سائداً لدى الجانب التركي فقط، بل حتّى إنّ الأدبيات السياسية الأميركية دائماً ما تُشير إلى تركيا بعبارة The Uncertain Ally، أي "الحليف غير المضمون". ما أدّى بالتالي إلى ضلوع الولايات المتحدة الأميركية في بعض السلوكيات التي هدفت من خلالها الولايات المتحدة إلى استحداث أوضاعٍ يمكن استخدامها كورقة ضغط ضد تركيا في حال انتهجت الأخيرة سياسات تضرّ بالمصالح الأميركية، وقد بدا هذا جلياً في العديد من المسائل.

حيث تتهم تركيا الولايات المتحدة الأميركية بتقديم المساعدة لحزب العمال الكردستاني (PKK) الذي تصنفه الدولتان على أنّه منظمة إرهابية، ولا تزال مسألة الدعم الأميركي لحزب العمال الكردستاني تشكل أكبر بؤرة توتر في العلاقات التركية الأميركية حتى يومنا هذا، "لا سيما أن وجوده في شمال العراق ووجود الجماعات الكردية المرتبطة به في شمال سوريا والتي تتلقى الدعم المالي والعسكري من الولايات المتحدة، يُشكّل خطراً كبيراً على الأمن القومي التركي".[1]

وفي سياق الدعم الأميركي لهذه الجماعات المتمركزة على الحدود التركية، يقول الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في كتابه "نحو عالم أكثر عدلاً"، الذي تناول فيه رؤيته الخاصة لمستقبل النظام العالمي، "إنّ أصدقاءنا الذين أعربوا عن إعلانهم الحرب على الإرهاب، لم يترددوا في دعم منظمة إرهابية لمحاربة منظمة إرهابية أخرى قائمة في جوارنا، ولا يزالون مستمرين على هذا الموقف"[2].

بالإضافة إلى كل ما سبق، يُعتبر ما يُعرف بالإسلام السياسي الذي تعبر عنه تركيا بسياستها المعروفة بالعثمانية الجديدة، نقطة من نقاط اهتزاز متانة التحالف بين تركيا والولايات المتحدة، خصوصاً في عهد حزب العدالة

---

[1] Pınar Gözen Ercan, Turkish foreign policy: International Relations; Legality and Global Reach, Palgrave Macmillan, Ankara, 2017, p: 65.

[2] رجب طيب أردوغان، نحو عالم أكثر عدلاً، ترجمة نورا ياماش، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ط1، الدوحة، 2021، ص: 40.

والتنمية الذي يُعتبر محسوباً على تيار الإسلام السياسي. حيث يُعرّف زيبغينو برجينسكي –مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي في عهد جيمي كارتر– ما يُعرف بالصحوة الإسلامية على أنها تطور يهدد المصالح الاميركية، كما تعززت هذه الرؤية في بحث نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما، حيث إن الأخير أظهر العالم الإسلامي كقطبٍ مضاد يهدد الهيمنة الغربية، كما يرى صامويل هنتغتون أن العالم الاسلامي يقع في قلب صراع الحضارات[1]. ما يعطي فكرةً مفادها أن الولايات المتحدة الأميركية تنظر إلى الإسلام السياسي ككل على أنه تهديد لوجودها وللقيم الليبرالية التي تدافع عنها.

ومن ضمن المسائل التي زادت التوتر في العلاقات التركية الأميركية، قيام تركيا بشراء منظومة صواريخ الدفاع الجوي الروسية اس 400 من فئة أرض جو، حيث قامت الولايات المتحدة في العام 2020 بفرض عقوباتٍ على تركيا وعلّقت تسليم مقاتلات F–35 الجوية للجيش التركي[2]. كما زادت التوترات بين البلدين عند اعتراف الرئيس الأميركي جو بايدن بالمجزرة الأرمنية في بداية عهده، بالإضافة إلى اتهام بعض الجهات التركية بخرق العقوبات الأميركية على إيران، فضلاً عن الدعم الأميركي للتنظيم التابع للمعارض التركي فتح الله غولن الذي كان متمركزا في الولايات المتحدة، والذي تعتبره تركيا مسؤولاً عن محاولة الإنقلاب التي جرت في العام 2016.

المطلب الثاني: أبرز المواقف الدولية تجاه الدور الإقليمي التركي

على الرغم من تباين المواقف الدولية تجاه تركيا وسياساتها الخارجية في العديد من المجالات، إلا أن ما يتّضح من سلوك الدول الكبرى والإقليمية تجاه الدور الذي تلعبه تركيا على صعيد سياستها الخارجية سواء في كل من آسيا الوسطى وشرق المتوسط أو في مناطق أخرى، أن هناك نسبة لا بأس بها من القبول لهذا الدور، مع تفاوت نسبة القبول من دولة إلى أخرى، بسبب تأثير العديد من العوامل السياسية والثقافية وطبيعة العلاقات التاريخية والمعاصرة التي تجمع تركيا بهذه الدول.

---

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، 162، بتصرّف.

[2] Amanda Macias, U.S. sanctions Turkey over purchase of Russian S–400 missile system, Last update: 15 December 2020, Last Visit: 25 August 2024, (https://www.cnbc.com/2020/12/14/us–sanctions–turkey–over–russian–s400.html).

إلّا أن هذا لا يعني أن الدول الكبرى والإقليمية الفاعلة في هذه المناطق، لا ترى أية مخاطر على مصالحها بسبب ممارسة تركيا دوراً إقليميا في هذه الأقاليم، إلّا أن سبب هذا القبول هو عدم قدرة أي لاعب من هؤلاء اللاعبين الدوليين على ممارسة نفوذ كامل على هذه المناطق بما يضمن لها حماية تامة لمصالحها وإبعاد إمكانية تدخل أي طرف دولي معادي للتأثير على هذه المصالح بصورة سلبية، وبالتالي، فإن التعاون مع تركيا في هذ المناطق يُشكّل بالنسبة بهذه الدول الخيار الأفضل والأقل خطورة.

وتنطلق تصورات هذه الدول تجاه تركيا على أنها الخصم الأقل عدائية من باقي اللاعبين الآخرين في الساحة الدولية من عدة اعتبارات، منها بطبيعة الحال، مسألة أن درجة الخصومة التاريخية لبعض هذه الدول مع تركيا لطالما كانت أقل من درجة الخصومة مع غيرها، كما إن تركيا باعتبارها قوة مستجدة على الساحة الإقليمية، فإن الهياكل التي أسست عليها الأخيرة نفوذها الإقليمي في هذه الدول لا تزال غضّة طريّة، وبالتالي، فإن تركيا تُعتبر أقل خطراً من غيرها لناحية مقدرة هذه الدول على مزاحمة تركيا على النفوذ في هذه المناطق في حال حصول تضارب في المصالح أو في التفاهمات على كيفية إدارة المشهد السياسي في هذه الأقاليم.

بالإضافة إلى ذلك، إنّ السياسات الخارجية المتوازنة التي انتهجتها تركيا في إحدى الفترات، لا سيما سياسة صفر مشاكل، قد ساهمت في تقليص توتر العلاقات مع الدول الأخرى، كما شكّل شعار الدولة التركية Vatan'da sulh Cihan'da Sulh أي "سلام في الوطن سلام في العالم"، توجهاً مثالياً في العلاقات الدولية، كما رسم صيغةً واقعيةً للسياسات الخارجية التركية التي تأخذ في عين الإعتبار تفادي الصراع مع القوى الكبرى لتجنب حدوث تدهور يضُّر بالمصالح القومية لتركيا في الداخل والخارج.[1]

كما إنّ التوجهات التركية بالتركيز على التنمية الإقتصادية والإبتعاد عن عوامل التوتر التي من شأنها التأثير على علاقاتها الإقتصادية مع الدول الأخرى، قد دفعتها إلى اتباع نهج الدبلوماسية المرنة والناعمة مع التركيز على الإضاءة على المصالح المشتركة التي من شأنها تعزيز العلاقات الثنائية مع شركائها الدوليين، كما حسّنت

[1] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص: 91، بتصرّف.

من صورتها كشريك محتمل لدى الدول الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، فقد أبدت تركيا أيضاً مرونة في التعاون مع مختلف اللاعبين الدوليين في مجالات عديدة غير المجال الإقتصادي، لا سيما المجالين السياسي والعسكري.

حيث أبدت تركيا اهتماماً بالإنضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة دول البريكس، كما لعبت دورا بارزا في مسألة النزاع الروسي الأوكراني منذ محادثات مينسك التي بدأت قبل ما يقرب من عقد من الزمن، كما تستمر إلى الآن في لعب دور الوسيط بين موسكو وكييف منذ بداية الحرب الروسية الأوكرانية. كما كانت منفتحة بشكل ملحوظ على صياغة قواعد لتنسيق التفاعلات التركية الروسية في سوريا عبر اتفاق سوتشي الذي تم توقيعه في أواخر العام 2019.[1]

وقد ساهم هذا الاتفاق حينها على تجنب أي إحتكاكات خطيرة بين الجانبين التركي والروسي –الذي كان متواجدا في السابق إلى جانب قوات النظام على خطوط التماس مع القوات والتركية والفصائل السورية المدعومة من جانبها–، إلا أن هذه التفاهمات أصبحت حاليا غير ذات قيمة بعد الإطاحة بنظام الأسد وتشكُّل حكم جديد حليف لتركيا في سوريا.

كما نفذت تركيا العديد من مبادرات التعاون العسكري مع دول من خارج حلف شمال الأطلسي، كان أهمها حيازة منظومة الدفاع الجوي الروسية S-400، بالإضافة إلى تصديرها لصناعاتها العسكرية لا سيما المسيرات إلى عدة دول منها السعودية وقطر والكويت والإمارات وباكستان وأذربيجان والدول القريبة من تركيا مثل أوكرانيا ودول آسيا الوسطى[2]، وإن تحول تركيا إلى واحدة من أهم مصدري السلاح خصوصا بالنسبة للدول لا تمتلك صناعات عسكرية متقدمة والتي وجدت في الصناعات العسكرية بديلا ذا فعالية مقبولة وأقل تكلفة عن التكنولوجيا

---

[1] اتفاق روسيا وتركيا على إبعاد المقاتلين الأكراد عن الحدود السورية التركية، رويترز، آخر تحديث: 23 تشرين الأول 2019، آخر زيارة: 1 أيلول 2024، (https://www.reuters.com/article/world/--idUSKBN1X117M/).

[2] Ali Bakir, Turkey's defense industry is on the rise: The GCC is One of its Top Buyers, Atlantic Coucil, Last Update: 4 August 2023, Last Visit: 31 August 2024, (https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/turkey-defense-baykar-gcc-gulf/).

العسكرية الروسية والغربية، قد عزز مكانتها بالنسبة لهذه الدول لا سيما من ناحية نمو العلاقات العسكرية وزيادة تأثيرها ونفوذها على هذه الدول، وقد بدى هذا جلياً خلال الحرب الأذرية الأرمينية الأخيرة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن تركيا بسبب العوامل الثقافية وأهمها اللغة والدين والتاريخ المشترك، تمتلك ما لا تملكه أي دولة أخرى من أدوات التأثير والنفوذ التي يُمكن الإستفادة منها بفعالية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط، ولهذا فإن الدول الأخرى ترى في الدور التركي مسألة حيوية وحتمية في هذه الأقاليم، وبالتالي ترى أنه من الأفضل لها أن تتعاون مع تركيا–على الأقل في الوقت الحالي– بدلاً من التنافس معها أو محاولة إقصائها بشكلٍ كليّ من المشهد السياسي السائد في هذه المناطق.

تركيا ومعضلة التوازن بين الشرق والغرب:

لم يكن توجه تركيا نحو تحسين العلاقات مع روسيا غرضه فقط ممارسة سياسات خارجية من شأنها إحداث حالة من التوازن مع الغرب وتخفيف حالة العداء التقليدية مع الروس، بل أكثر من ذلك، حيث شكّلت روسيا أيضا بالنسبة لتركيا حليفاً محتملاً في بعض الميادين ومصدراً للسلاح بدلاً عن الولايات المتحدة الأميركية، حيث إنّ وجود تركيا في حلف الناتو منذ العام 1952 لم يُسهم في تطوير قدراتها العسكرية بما يجعلها قادرةً على حماية مصالحها وتشكيل قوة عسكرية قادرة على التعامل مع التهديدات الأمنية التي تواجه الأراضي التركية.

كما إنّ روسيا، تلك الدولة الحديثة النشأة حينها –أي بعد انهيار الإتحاد السوفييتي–، والتي وُلدت لتجد نفسها محاطةً بحلف يريد يريد تشكيل حزامٍ خانقٍ حولها عبر ما يُعرف بسياسة الإحتواء، كان من مصلحتها بناء علاقات جيدة مع تركيا لأسبابٍ عديدة، أهمها تأمين المصالح الروسية المتعلقة بعبور روسيا نحو المياه الدافئة عبر مضيقي البوسفور والدردنيل الواقعين تحت السيادة التركية. إضافةً إلى الإعتبارات الروسية بشأن العمل على الإستفادة من الثغرات في العلاقات التركية الأميركية لصالح روسيا، بهدف تنسيق التعاون حول المصالح المشتركة وإحداث خرق في حلف شمال الأطلسي عبر أحد أهم أعضائه، لأن أي تقارب بين روسيا وأي عضو من الحلف سيؤدي بطبيعة الحال إلى إحداث شرخٍ كبير في تماسك هذا الحلف.

وقد سلكت روسيا البلشفية هذا السلوك نفسه من خلال تقديم المساعدة العسكرية للأتراك خلال حرب الإستقلال التركية ضدّ الدول الغربية[1]، حيث فضّل الروس حينها أن يبقى مضيقي البوسفور والدردنيل تحت السيطرة التركية بدلاً من سيطرة الفرنسيين والبريطانيين. فضلاً عن محاولة الروس –البلشفيين– في ذلك الوقت كسب علاقات ودية مع مختلف دول العالم ومنها تركيا، بهدف تسهيل عملية نشر الفكر الشيوعي أو ما عُرف في تلك الفترة بعملية تصدير الثورة.

وفي زمن روسيا الإتحادية، "ارتقت العلاقات التركية الروسية إلى مستوى جديد مع ترسيخ بوتين لسلطته في روسيا وتولي حزب العدالة والتنمية السلطة في تركيا في بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حيث تم العمل على إضفاء الطابع المؤسسي على العلاقات بين البلدين"[2]. كما شهدت الفترات اللاحقة تقارباً كبيراً في العلاقات الروسية التركية بالإضافة إلى التعاون الثنائي في الكثير من المجالات.

ولكن على الرغم من الجهود التي تمّ بذلها من قبل الجانبين التركي والروسي لتجفيف مصادر توتر علاقاتهما الثنائية، إلّا أنّه هناك العديد من المحطات التي أججت التوتر والتنافسية في العلاقات بين الجانبين، لا سيما فيما يخص ملف الطاقة وخطوط الغاز ومسألة الثورات وحركات الإحتجاج الشعبية العربية أو ما يُعرف بالربيع العربي، حيث وجدت كل من تركيا وروسيا أنفسهما على طرفي نقيض فيما يتعلق بهذه الملفات، لا سيما في سوريا.

لكن الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة من أجل دور أكبر لحلف شمال الأطلسي في البحر الأسود والقوقاز، قد ساهم بشكل كبير في تقريب وجهات النظر بين روسيا وتركيا، حيث أصرت تركيا على عدم الحاجة إلى وجود أقوى لحلف شمال الأطلسي في منطقة البحر الأسود والقوقاز لأن الهياكل الأمنية القائمة مسبقاً – أي الروسية والتركية– كافية للحفاظ على النظام في هذه المناطق[3]. وهذا ما شكّل اتفاقاً ضمنياً حينها بين روسيا

---

[1] عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية: الإتجاهات والتحلفات وسياسة القوة، مرجع سابق، ص: 1، بتصرّف.

[2] Fatma Aslı Kelkitli, Op.Cit, P:20-21.

[2] Fred Halliday, The Middle East in International Relations, Cambridge University Press, New York, 2005, P: 74.

وتركيا بالتزام البلدين بعدم السماح لأي قوى غربية، لا سيما الولايات المتحدّة الأميركية، بممارسة دور أكبر في المناطق التي تعتبر مساحات نفوذ جيوسياسي متقاطع بين الجانبين.

كما إنّه بعد الحرب الباردة، أصبحت منطقة آسيا الوسطى من المناطق التي تطمح الولايات المتحدة إلى بسط نفوذها عليها لتقليص النفوذ الروسي ودفعه إلى داخل الأقاليم الروسية وتحويل هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية والتي تقع عند الخاصرة الرخوة لروسيا إلى منطقة نفوذ أطلسية وجزءٍ من استراتيجية الإحتواء الغربية تجاه روسيا.

كما اهتمت الولايات المتحدة بعدم السماح لروسيا بالحصول على نفوذٍ في شرق المتوسط، لا سيما في سوريا وليبيا، ولهذا حظيت بعض التحركات التركية في شرق المتوسط بضوء أخضر أميركي لاعتباراتٍ عديدة، أهمها مجابهة النفوذ الروسي في هذه المناطق.

وفي الوقت عينه، وجدت الولايات المتحدة في تركيا شريكا مناسبا لمساعدتها في الدخول إلى هذه المنطقة التي لطالما كانت تحت نفوذ خصومها. وكانطلاقةٍ لهذه الإستراتيحية الأميركية، "تعهد الرئيس الأميركي جورج بوش الأب ورئيس الوزراء التركي سليمان ديميريل في تسعينيات القرن الماضي بتوسيع نطاق المساعدات وغيرها من أشكال المساعدة المقدمة إلى آسيا الوسطى، وأشار بوش حينها إلى تركيا باعتبارها نموذجاً للدولة الديمقراطية العلمانية التي يمكن أن تحاكيها دول آسيا الوسطى."[1]

ولهذه الأسباب وغيرها، ترى روسيا أيضاً في تركيا خصماً يسهل التعامل معه أكثر من غيره، سواء في وسط آسيا أو شرق المتوسط كما يحصُل الآن في ليبيا وسوريا، لا سيما أن تركيا وروسيا لديهما نقطة مشتركة تتمثل في تخفيف الهيمنة الأميركية والغربية على المشهد السياسي الدولي، خصوصاً أن الواقع السياسي أثبت لروسيا مدى صعوبة إدارة الخصومة مع الولايات المتحدة، لا سيما لناحية أن الولايات المتحدة تريد إقصاء روسيا

[1] Ahmed rashid, The Resurgence of Central Asia: Islam or Nationalism, Oxford University Press, Oxfordshire, 1994, P: 211.

وتجفيف نفوذها كلياً من هذه المناطق، وقد بدا هذا واضحاً خلال الأزمتين الجورجية والأوكرانية، بينما تقبل تركيا بالتعاون المشترك كشكلٍ من أشكال إدارة التنافس مع روسيا.

حيث إنّ تركيا لا تطمح إلى إحداث تغيير جذري في النظام العالمي، بل إلى إحداث بعض التغييرات والتعديلات في هذا النظام، إذ تعتبر وجهة النظر التركية أنّ حل الأزمات الإقليمية والدولية التي يعجز النظام الدولي عن تقديم حلولٍ فعالة لها، يكمن في إعادة هيكلة النظام الدولي بما يتناسب مع متطلبات القوى الصاعدة الجديدة، لا سيما إعادة هيكلة مجلس الأمن لجعله أكثر فاعلية عبر ضم أعضاء جدد وتعديل مسألة حق النقض التي تسبب له خللاً وظيفياً.[1]

أمّا بالنسبة للصين التي تعتبر قوة سياسية ناشئة تُحاول مدّ جذورها إلى الخارج لتأمين مصالحها الإقتصادية والأمنية، فلديها هواجس من مسألة تعاظم الروح القومية التركية في منطقة آسيا الوسطى مخافة تأثير هذه المشاعر القومية على سكان إقليم تشينغ يانغ، كما تُعتبر منطقة آسيا الوسطى والشرق الأوسط مناطق مهمة جدا بالنسبة للصين، بسبب موارد الطاقة الهائلة التي تحتاجها الصين لتشغيل مصانعها وتحريك اقتصادها.

كما إنّ شرق المتوسط ووسط آسيا يشكّلان معبراً مهماً ضمن مبادرة الحزام والطريق الصينية التي تنطوي على تأمين طرق تجارية بين الصين والعالم عن طريق المسارات البرية، والذي يأخذ أهمية أكثر فأكثر مع تزايد التوترات مع الولايات المتحدة في بحر الصين الجنوبي الذي تنطلق منه التجارة الصينية نحو العالم. ولهذا، اختارت الصين أيضاً التعاون مع الفواعل الدولية الموجودة في هذه المناطق ومنها تركيا، عبر التقارب السياسي والعسكري إضافة إلى الشراكات الإقتصادية الرامية إلى تعزيز المصالح المشتركة بين البلدين.

وكدليل على نوايا التعاون بين الجانبين، شهدت العلاقات التركية الصينية تطوراً كبيراً في العقود الماضية، حيث زار الرئيس الصيني شي جين بينغ تركيا في العام 2012 حين كان نائبا للرئيس، بينما رد أردوغان الزيارة في العام 2013، كما زار وزير الخارجية الصيني تركيا بعد محاولة الإنقلاب في 2016، وأجرت الصين وتركيا

[1] رجب طيب أردوغان، مرجع سابق، ص: 25.

في العام 2010 مناورات عسكرية مشتركة أُطلق عليها اسم "نسر الاناضول..مهمة السلام"، والتي اعتُبرت أول مناورات عسكرية تجريها الصين مع واحدة من إحدى الدول الأعضاء في حلف شمال الاطلسي.[1]

وهكذا، تسعى الصين إلى توظيف النقاط المشتركة بينها وبين الدول الأخرى الفاعلة في المنطقة بما فيهم تركيا، لا سيما لناحية الإعتبارات الصينية بضرورة تقليل النفوذ الغربي وخصوصاً الأميركي في المناطق المحيطة بها ومن ضمنها آسيا الوسطى، بالإضافة إلى تقليص هذا النفوذ أيضاً على المناطق التي تحمل أهمية استراتيجية على صعيد مصادر الطاقة ومن ضمنها شرق المتوسط.

ختاماً، يمكن القول أنه على الرغم من التقلبات الكبيرة التي شهدتها العلاقات الدولية في الفترة الماضية، لا سيما بين القوى الدولية بعضها البعض من ناحية وبينها وبين القوى الإقليمية من ناحية أخرى، إلّا أن هذا لم يمنع من إرساء قواعد مشتركة بين العديد من هذه الدول سالفة الذكر للتحرك بشكل منسّق في مختلف المناطق والمجالات.

حيث شكّلت هذه القواعد حجر الأساس الذي بنت عليه تركيا تحركاتها في منطقتى وسط آسيا وشرق المتوسط، بهدف تحقيق أقصى استفادة ممكنة من حالات تكامل المصالح بينها وبين الدول الأخرى الفاعلة في هذه المناطق، وفي الوقت عينه، الحرص على عدم الإتيان بأي تحركّات خارجة عن القواعد المتعارف عليها، بهدف عدم إحداث ضرر بالعلاقات والمصالح المشتركة لتركيا مع هذه الدول، بالإضافة إلى تجنب إحداث أي أزمات قد لا يكون لدى تركيا القدرة على التعامل مع نتائجها وتداعياتها.

[1] عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية، الإتجاهات والتحالفات المرنة وسياسة القوة، مرجع سابق، ص: 104-105، بتصرّف.

الخاتمة

إنّ الإهتمام بالإعتبارات الجغرافية، التي ترتكز على تحديد مهددات أمن الدولة ومصالحها وسياساتها الخارجية بناءً على معطيات الواقع الجغرافي، بالإضافة إلى تناول هذه المعطيات من خلال مناهج التفكير الجيوبوليتيكي المرتكزة على الجمع بين كافة عناصر القوة التي تتناولها النظريات الجيوبوليتيكة التقليدية مثل نظرية القوة البرية أو البحرية أو الجوية، بالإضافة إلى دمج هذه الأساليب مع المفاهيم الحديثة للقوة الناعمة عبر الإستفادة من عناصر القوة الثقافية كاللغة والعرق والدين لتدعيم القوة المادية، قد ساهم بشكل كبير في إضفاء المرونة والطابع العلمي المنهجي على مجمل السياسات الخارجية التركية التي تمّت صياغتها بهدف توسيع رقعة التأثير التركي في المشهد السياسي الإقليمي والدولي.

إلّا أنّ الأهمية الجيوبوليتيكية التي تحددها هذه الإعتبارات الجغرافية، لم تكن وحدها المعيار الذي بنت تركيا على أساسه سياساتها الخارجية نحو أقاليم معينة، بل ارتكزت هذه السياسات أيضاً على معيار آخر، وهو مدى التوافر المسبق للإمكانيات والعوامل التي يُعتبر وجودها بمثابة مؤشر على ارتفاع إحتمالية نجاح هذه السياسات الخارجية بدرجة أكبر من ما هي عليه في حال عدم وجود هذه العوامل والإمكانيات. وإنّ السياق الزمني لتطور السياسات الخارجية التركية، يعتبر مؤشراً واضحاً على كون مدى حجم وتأثير هذه السياسات ينمو بشكل متوازٍ مع نمو الإمكانيات والعناصر التي قد تستفيد منها تركيا لممارسة سياسات خارجية متماسكة وفعالة.

وكمثالٍ تقريبي لجعل الصورة أكثر وضوحاً في الذهن فيما يتعلق بهذه المبادئ والمفاهيم التي سبق ذكرها أعلاه، تعتبر جزر بحر إيجه، بسبب التفافها كحزام يوناني يحيط بالسواحل الحدودية الغربية لتركيا، منطقة تتمتع بأهمية جيوبوليتيكة أكبر بالكثير من الأهمية الجيوبوليتيكية التي تتمتع بها ليبيا بالنسبة لتركيا؛ إلا أن توافر العوامل التي من شأنها المساهمة في تنفيذ تحركات جيوبوليتيكة ناجحة من الجانب التركي تجاه ليبيا، قد رجّح كفّة التحرك نحو ليبيا وليس نحو هذه الجزر في ظل استراتيجية التوسع الخارجي التي تعتمدها تركيا تجاه محيطها الغربي.

وهكذا، فإن محدودية الإمكانيات العسكرية والإقتصادية التركية، قد دفعت باتجاه قيام تركيا بحصر إمكانياتها في الأقاليم التي تتوافر فيها عدة عوامل أهمها مسألة القيمة الجيوبوليتيكية لهذا الإقليم بالنسبة لتركيا، بالإضافة

إلى ملاءمة الأوضاع الجغرافية والأمنية السائدة في هذه الأقاليم مع الإمكانيات الإقتصادية والعسكرية لتركيا، بما يسمح لها بتنفيذ تحركاتها في هذا الإقليم بما يحقق لها أكبر قدر ممكن من الفوائد مع أقل الخسائر الممكنة، لا سيما إقليمي آسيا الوسطى وشرق المتوسط، اللذان تتوافر فيهما عوامل القيمة الجيوبوليتيكة العالية بالنسبة لتركيا، بالإضافة إلى توافر العديد من العوامل التي من شأنها أن تساعد في التطبيق الفعّال للمخططات الهادفة إلى تحقيق الطموحات التوسعية التركية خارج الحدود، لا سيما تلك العوامل الثقافية أو الأيدبولوجية، حيث تجمع تركيا بمعظم شعوب هذه الأقاليم روابط العرق واللغة والدين والتاريخ المشترك.

كما تزامنت هذه العوامل المحفزة لنمو الدور التركي في هذه المناطق مع بعض العوامل الداخلية التركية التي ساعدت على تعزيز الطموحات التركية بالتوسع الخارجي، لا سيما لجهة تنامي الحركات القومية والإسلامية في تركيا ووصولها إلى سدة الحكم. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الواقع الجيوبوليتيكي في هذه الأقاليم يحتوي على العديد من مساحات الفراغ الجيوسياسي التي تسعى تركيا إلى الإستفادة منها، لا سيما في ظل الأوضاع الإقليمية والدولية التي شكّلت بيئة خصبة للوجود التركي المباشر أو غير المباشر في هذه الأقاليم، خصوصاً في ظل التراجع الذي يشهده النفوذ الخارجي للدول الكبرى كروسيا والولايات المتحدة، ودخول عناصر جديدة على خط التنافس الدولي على هذه المناطق الإستراتيجية من العالم.

ولكن على الرغم من توفر البيئة الإقليمية والدولية المناسبة لقيام تركيا بتحركاتها الجيوبوليتيكية في الأقاليم التي يجري الحديث عنها، إلا أنّ ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أنّ الإستقرار النسبي في علاقات تركيا مع العناصر الفاعلة في هذه الأقاليم يُمكن أن يؤخذ من الجانب التركي على أنه عامل من عوامل الإطمئنان، لأن السياسة في جميع الأحوال تبقى فن الممكن، وبالتالي، فإن تسامح هذه الفواعل الدولية مع لعب تركيا لدور إقليمي في هذه المناطق ينبع من قناعة هذه الدول بحتمية وجود فواعل أخرى غيرها في هذه المناطق، وبالتالي، فهي ترى في تركيا عنصراً محتملاً منخفض الخطورة لشغل مناطق النفوذ هذه، ريثما يتم استحداث أوضاع دولية وإقليمية جديدة تسمح لهذه الفواعل بالسيطرة على هذه المناطق بشكل كلي أو تشاركها مع أطرافٍ أخرى يعتبرونها أكثر موثوقية من تركيا بحسب وجهة نظرهم.

حيث إنّ ما سبق الحديث عنه بإسهاب خلال هذا البحث من التوازن النسبي للعلاقات التركية بين الشرق والغرب لا يُعد ميزة خالصة، بل يحمل معه العديد من العيوب، أبرزها افتقار تركيا إلى حليفٍ موثوق يمكنها التعويل عليه، خصوصاً في مجالي الدفاع والأمن، بالإضافة إلى أن الأطراف الأخرى ترى هذا السلوك التركي بمثابة تقلبات في المواقف التركية وعدم امتلاك رؤية واضحة ومحددة تجاه التحالفات والقضايا الدولية، وبالتالي، فإنّ هذه الأطراف في المقابل ترى في تركيا حليفاً غير مضمون.

وإنّ ما يمكن استخلاصه من هشاشة التحالفات التركية مع كافة الأطراف سواء في الغرب أو الشرق، يمكن يُعزى إلى هشاشة الركائز التي تقوم عليها هذه التحالفات بالأصل، فعلى الرغم من تراجع استخدام مصطلحات الأخوة الدينية والعرقية والترابط الأيديولوجي في الأدبيات السياسية العلنية أو في الدبلوماسية الدولية، إلّا أن تحليل غالب سياسات وتحركات وتوجهات الدول الكبرى والإقليمية تُثبت أن هذه الركائز، لا تزال تُعتبر الأساس الجوهري الذي تنطلق منه السياسات الخارجية والإستراتيجيات الوطنية لمعظم هذه الدول، وإن انتهجت هذه الأخيرة في بعض الأحيان أسلوب التعامل البراغماتي تجاه بعض المسائل والقضايا المحلية أو الدولية. إلّا أنّ الصراعات الدينية والأيديولوجية لا تزال تُمارس اليوم تحت مصطلحٍ أكثر تمدناً وحداثة، فيما يُعرف بـ"صراع الحضارات".

وعليه، يمكن إرجاع هشاشة التحالفات التركية التي سبق الحديث عنها إلى انعدام وجود روابط دينية أو عرقية أو أيديولوجية تُبنى عليها هذه التحالفات. وبالتالي، فإنّ الرؤية التركية بحتمية الحصول على المجال الحيوي في الأقاليم العثمانية السابقة وتعزيز الروابط مع ما يُسمّى بالعالم التركي، يُمكن أن تُعزى إلى القناعة التركية بأن التحالفات البراغماتية القائمة على حسابات المصالح المشتركة لا تكفي وحدها لإرساء تحالفاتٍ يُمكن الركون إليها كدعامة تستند عليها تركيا بشكل فعلي للحفاظ على مصالحها وأمنها القومي، خصوصاً في المسائل الحساسة والأزمات الحرجة.

علاوةً على ذلك، فإن المعطيات التاريخية التي يُبرزها تحليل الوضع الجيوسياسي للسلطنة العثمانية، يُبين أن قدرة هذه الأخيرة على تأمين شبه جزيرة الأناضول، أي الإقليم الجغرافي لتركيا الحالية، قد سبقه، أو ترافق معه عامل السيطرة على المناطق التي تُعد بمثابة العمق الإستراتيجي لشبه جزيرة الأناضول، كشرق المتوسط والقوقاز

وبعض مناطق آسيا الوسطى، وبالتالي، يمكن لمُنظّري السياسة التركية استخلاص ننتيجة مفادها أنه لا سبيل لتأمين الأراضي والمصالح التركية إلا من خلال الإعتبارات الحتمية المتعلقة بالمجال الحيوي لتركيا. وعليه، فإن النظر إلى هذه المسائل بعين صنّاع القرار الأتراك يُسهم بشكل كبير في إدراك المنطلقات التي بُنيت عليها التحركات الجيوبوليتيكة التركية، بالإضافة إلى استشراف التعديلات أو التطورات التي قد تطرأ على هذه التحركات واتجاهاتها المستقبلية.

وإذا أردنا النظر إلى هذه المسائل من وجهة النظر التركية، فإنّ التحركات التي سبق لتركيا القيام بها في شرق المتوسط ووسط آسيا تُعتبر مفيدةً إلى حدٍ كبير للأسباب التي يمكن إيجازها بالآتي:

1. إنّ نفوذ تركيا خارج حدود إقليمها الجغرافي يعطيها زيادة في العمق الجغرافي والدفاعي–العسكري، وذلك بغض النظر عن مدى الأهمية الإستراتيجية لموقع مناطق النفوذ.
2. إنّ الأهمية الإستراتيجية للمناطق التي تتحرك فيها تركيا حالياً لجهة أهمية الموقع من حيث الإشراف على نقاط الإتصال وطرق التجارة العالمية والغنى بالموارد الطبيعية، يعطي تركيا مزايا دبلوماسية وإقتصادية وعسكرية في تعاملاتها مع باقي عناصر النظام الدولي.
3. إنّ تأسيس العلاقات التركية مع الأطراف الرسمية وغير الرسمية في وسط آسيا وشرق المتوسط على الروابط القومية والأيديولوجية إلى جانب المصالح المتبادلة، يُضفي على العلاقات والتحالفات الناتجة عنها طابعاً متيناً ومستقراً أكثر من التحالفات البراغماتية القائمة فقط على المصالح المشتركة.
4. إنّ الإستقرار النسبي الذي شهدته مناطق التدخل التركي، بالإضافة إلى المكاسب التي حققها هذا التدخل بالنسبة للفئات التي جرت هذه التدخلات لصالحها، كالحالة الأذرية والحالة السورية على سبيل المثال، قد عزز الصورة التركية في أذهان الفواعل الدولية لجهة اعتبار تركيا بمثابة حليف أو شريكٍ محتمل في مختلف الصراعات أو القضايا الدولية.
5. ساهم الوجود العسكري التركي خارج الحدود في تحييد قدرٍ لا بأس به من التهديدات التقليدية، عبر ما يلي:

i. أزال التواجد في قبالة السواحل الأوروبية خصوصاً اليونانية عبر الوجود في ليبيا وشمال قبرص نسبةً كبيرةً من التهديد الذي يشكله الطوق اليوناني حول السواحل الغربية لتركيا، كما أعطى تركيا عمقاً دفاعياً بحرياً للدفاع عن مياهها الإقليمية في أي صراعٍ عسكري محتمل.

ii. ساهم التواجد التركي في شمال سوريا والعمليات العسكرية المتواصلة في شمال العراق في تحييد نسبة كبيرة من التهديد الذي يشكله حزب العمال الكردستاني، بالإضافة إلى تشكيل منطقة تعزل الجيوش والجماعات المسلحة المنافسة أو المعادية لتركيا عن مناطق الحدود التركية.

iii. ساهم الوجود العسكري التركي في القوقاز عبر أذربيجان في تعزيز العمق الدفاعي التركي في منطقة جنوب القوقاز بمحاذاه القسم الروسي من شمال القوقاز، مما أسهم بالتالي في ردع المطامع الروسية تجاه بعض مناطق شمال شرق تركيا لا سيما مدينتي قارس وأردخان.

iv. يعتبر نفوذ تركيا إلى آسيا الوسطى مروراً بالقوقاز وقزوين بمثابة خرق لمنطقة الحديقة الخلفية لروسيا، حيث تعتبر حدود روسيا الجنوبية بمثابة خاصرة رخوة لروسيا يسهل اختراقها بسبب العوامل الجغرافية والجيوسياسية لهذه المناطق الحدودية.

ولكن في الوقت عينه، وعلى الرغم من بعض المكاسب التي حصلت عليها تركيا نتيجة سياساتها الخارجية وممارساتها الجيوبوليتيكة في هذه المناطق، إلّا أنّ هناك بعض نقاط القصور التي يمكنها إيجازها بالآتي:

1. شهدت التحركات التركية الخارجية كثافة غير مسبوقة منذ العام 2019، بدءاً من ليبيا إلى العمليات العسكرية في الشمال السوري مثل نبع السلام ودرع الفرات وغصن الزيتون، بالإضافة إلى العمليات العسكرية في شمال العراق كعملية المخلب أو الكماشة، بالإضافة إلى الدعم العسكري المباشر لأذربيجان في حربها ضد أرمينيا، وعلى الرغم من أن الكثير من هذه التحركات كانت ضرورية، إلا أن كثافة المجهود العسكري المتتابع لأي دولة يؤدي إلى إجهاد ميزانيتها الإقتصادية وإجهاد قواتها المسلحة، فضلاً عن تشتيت استراتيجتها العسكرية، وربما هذا هو السبب الرئيسي في ما ذكرناه سابقاً حول الإستقرار النسبي وليس الكلّي في مناطق التدخل التركي، حيث إن كثافة العمليات العسكرية المتزامنة

يؤدي إلى تشتيت الجهود العسكرية وعدم تركيزها في ساحة واحدة وبالتالي يحول ذلك دون تحقيق الإستقرار الكلي في مناطق التدخل سالفة الذكر.

2. على الرغم من الأهمية الإستراتيجية للتواجد العسكري التركي في ليبيا، إلّا أنّ توتر العلاقات التركية المصرية الذي دفع بمصر إلى عقد شراكات واتفاقيات مناوئة للمصالح التركية مع كلٍ من اليونان والكيان الإسرائيلي يُشكّل خطراً كبيراً على المصالح التركية في شرق المتوسط، لا سيما أن مصر هي القوة العسكرية الثالثة في الشرق الأوسط بعد الكيان الإسرائيلي وتركيا، وبالتالي، فهي تستطيع أن تؤثر على المرور التركي عبر شرق المتوسط تجاه ليبيا، كما تستطيع بفضل موقعها التدخل برياً بشكل مباشر أو غير مباشر في ليبيا عبر دعم قوات حفتر ضد حكومة الوفاق الوطني التي تدعمها تركيا.
3. على الرغم من أهمية أذربيجان للنفوذ التركي في القوقاز والعبور التركي نحو قزوين وآسيا الوسطى، إلّا إنّ تركيز الجهود التركية في منطقة القوقاز على أذربيجان لا يؤمن لتركيا القدر الكافي من النفوذ في هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لحماية شمال وشرق تركيا، حيث كان من الأجدر أن يتم تخصيص بعض الجهود للإستفادة من توتر العلاقات الروسية الجورجية الناتجة عن قيام روسيا بغزو إقليم أوسيتيا الشمالية الجورجي في العام 2008، لا سيما أن موقع جورجيا بملاصقة إقليم القوقاز الروسي في غرب القوقاز بمحاذاة السواحل التركية المطلة على البحر الأسود يجعل من موقع جورجيا أهم من موقع أذربيجان بالنسبة لتركيا، لا سيما لجهة كونها دولة عازلة بينها وبين روسيا من ناحية البرّ.
4. إنّ بعض السياسات الخارجية التركية –كالتدخل في ليبيا على سبيل المثال–، قد ساهمت في زيادة الإستقطاب السياسي الداخلي بين الحكومة والمعارضة، وهذا قد يكون له انعكاسات سلبية على تنفيذ السياسة الخارجية بفاعلية ونجاح، حيث إنّ السياسات الخارجية تنطلق من داخل الدولة إلى خارجها، وبالتالي، يجب أن تكون مبنية على قاعدة داخلية متينة وإلّا قلّت فاعليتها.
5. إنّ الإهتمام بتطوير القوة البحرية التركية جاء متأخراً وبشكل أبطأ مما تحتاجه الجيوبوليتيكا التركية، فغالبية المناطق الحدودية التركية هي مناطق ساحلية ومعظمها مكشوف على روسيا واليونان ومناطق النفوذ الروسي والغربي جنوب تركيا.

6. على الرغم من هشاشة التحالف بين تركيا والناتو، إلّا أنّ عضويتها في الحلف منحتها –ولا تزال تمنحها– ميزاتٍ سياسية وأمنية، لكن شراء تركيا منظومة إس 400 من روسيا وقيامها بمناورات عسكرية مشتركة مع الصين، لم يُسفر عن أي فوائد تستطيع تغطية الخسائر التي سببها توتر علاقات تركيا مع حلفائها الغربيين، لا سيما العقوبات على هيئة الصناعات الدفاعية التركية وحرمان الأتراك من الحصول على المقاتلة الجوية إف 35 وبالتالي جعل قواتهم الجوية متأخرة بشكل كبير عن القوة الجوية للخصوم.
7. إنّ بعض السياسات الخارجية التي نتجت عنها تحركات تركية خارج الحدود من دون بناء هذه التحركات على أساس قانوني ملزم وطويل الأمد يجعل المكاسب التي حققتها هذه التحركات عرضة للإلغاء في حال تغير السلطة الحاكمة في تركيا، لا سيما أن الإنتخابات المحلية التركية الأخيرة شهدت تراجعاً لحزب العدالة والتنمية تزامناً مع تقدم أحزاب المعارضة في ولاياتٍ كبرى مثل أنقرة واسطنبول.

ولهذا، فإنّ تحديد طبيعة الدور الإقليمي التركي في إطاره الحالي، يُعدّ عاملاً مساعداً في فهم وتحليل المشهد السياسي الإقليمي وفهم طبيعة العلاقات بين العناصر الفاعلة في الأقاليم الجغرافية التي تناولها هذا البحث، إلا أنه تبقى هناك ضرورة لبحث وتحليل أوجه القصور المتعلقة بالسياسات الخارجية التركية وتقييم الإمكانيات والإعتبارات التي تنطلق منها هذه السياسات، خصوصاً في ظل التغيرات الدولية المتزايدة والتي تتصل أحياناً بشكل مباشر بالمحيط الجغرافي لتركيا أو مصالحها القومية، بالإضافة إلى التغيرات الداخلية المتعلقة بالتجاذبات بين الأحزاب الإسلامية والقومية واليسارية، فضلاً عن العلاقات المعقدة بين الحكومة ومؤسسات الدولة الرسمية لا سيما الجيش ومؤسسة الإستخبارات الوطنية.

كما تُطرح في هذا الإطار تساؤلاتٌ عدة من شأنها أن تُشكّل استكمالاً للمعطيات والنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ومنها، ما مدى التغيير الذي قد يطرأ على الدور التركي نتيجة إعادة تقييم السياسات الخارجية أو تغير هذه السياسات بالكامل بفعل تغير النخبة الحاكمة في البلاد؟ وكيف يُمكن أن يتم التعامل مع هذا الدور من جانب القوى الإقليمية والكبرى في ظل التقلب الذي تشهده السياسات الخارجية لمعظم هذه الدول؟ وما التأثير الذي يُمكن أن يُحدثه هذا الدور على مكانة تركيا المستقبلية في النظام الدولي وعلاقاتها مع العناصر الأخرى المكونة لهذا النظام؟

لائحة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. الكتب:

- أردوغان، رجب طيب، نحو عالم أكثر عدلاً، ترجمة نورا ياماش، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ط1، الدوحة، 2021.
- أوغلو، أحمد داوود، العمق الإستراتيجي..موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، ط1، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010.
- حجازي محمد، محمد ، الجغرافيا السياسية، الحقوق للمؤلف، القاهرة، 1996-1997.
- حميد، أحمد جاسم ابراهيم ، القضية القبرصية والصراع التركي – اليوناني في ظل الموقف الدولي 1960-1994، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد6، العدد 1، بابل، 2013.
- دوغين، ألكسندر ، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2004.
- رياض، محمد، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014.
- سلطان، جاسم، الجغرافيا والحلم العربي القادم-جيوبوليتيك، تمكين للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2013.
- صافي، عدنان، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، د.ت..
- عبد السلام، محمد، الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول، دار الكتب، القاهرة، 2019.
- فريدمان، جورج، الأعوام المائة القادمة، استشراف القرن الحادي والعشرين، ترجمة منذر محمود محمد، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2019.

2. المقالات والدراسات:

- الرميزان، محمد، السياسة الخارجية التركية نحو آسيا الوسطى في عهد أردوغان، إندماج القومية التركية الجامعة والبراغماتية والإسلاموية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2022.
- عبد الباقي، مصباح الله، آسيا الوسطى والقوقاز: الأهمية الاستراتيجية والواقع السياسي والاجتماعي، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2013.
- قبلان، مروان، اكتشافات الغاز الطبيعي شرق المتوسط: استشراف الفرص والتحديات الجيوسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2018.
- قدورة، عماد، السياسة البحرية التركية في المتوسط والتدخل العسكري في ليبيا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2020.
- قدورة، عماد، السياسة الخارجية التركية: الإتجاهات والتحالفاتت المرنة وسياسة القوة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2021.
- وحدة الدراسات السياسية، العملية العسكرية التركية في شمال سوريا: نطاقها وأهدافها وردات الفعل عليها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2019.
- مللي، أحمد، التنافس الدولي على بحر قزوين، مجلة الدفاع الوطني، بيروت، 2014، العدد69، ص: 47.
- المياه في آسيا الوسطى: شراكة دولية لتحسين التعاون في ميدان المياه وإدارتها في آسيا الوسطى، المركز الدولي للزراعة الملحية، د.ت.، د.م.، ص: 2.

3. التقارير:

- اتفاق روسيا وتركيا على إبعاد المقاتلين الأكراد عن الحدود السورية التركية، رويترز، آخر تحديث: 23 تشرين الأول 2019، آخر زيارة: 1 أيلول 2024، (https://www.reuters.com/article/world/--idUSKBN1X117M/).
- الموقع الرسمي للأمم المتحدة، آخر زيارة: 14 تموز 2024، (https://news.un.org/ar/story/2023/11/1126472).

- الطاقة، أطول خطوط أنابيب النفط في العالم، آخر تحديث: 2023-04-27، آخر زيارة: 2024-07-20، (https://attaqa.net/).
- بي بي سي عربي، القواعد العسكرية التركية في الخارج ومهامها، آخر تحديث: 18 آب 2019، آخر زيارة: 14 أيلول 2024، (https://www.bbc.com/arabic/middleeast-49376606).
- تركيلماز، سلجوق، ثراء الجغرافيا التركية من البحر الأدرياتيكي إلى سور الصين العظيم، يني شفق، آخر تحديث: 10 تشرين الثاني 2022، آخر زيارة 1 أيلول 2024، (https://www.yenisafak.com/ar/columns/selcuk-turkyilmaz/2045049).
- دهشان، أحمد، من التعاون الإقليمي إلى الإطار العالمي: الخليج وآسيا الوسطى، مركز الدراسات العربية الأوراسية، آخر تحديث 23 تموز 2023، آخر زيارة: 24 تموز 2024، (https://eurasiaar.org/gulf-central-asia).
- دولانويه، إيغور، ليبيا: الورقة الروسية الجديدة، أوريان 21، آخر تحديث 23 شباط 2023، آخر زيارة: آخر زيارة: 24 تموز 2024، (https://orientxxi.info/magazine/article1731).
- راشد، باسم، ماذا يقول هنري كيسينجر عن تحولات النظام العالمي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، آخر تحديث: 29 أيلول 2014، آخر زيارة: 16 آب 2024، (مركز المستقبل – ماذا يقول "كيسنجر "عن تحولات النظام العالمي(futureuae.com) .
- سفارة جمهورية قبرص في مصر، آخر تحديث: 2006، آخر زيارة: 27 تموز 2024، (سفارة جمهورية قبرص بالقاهرة – معلومات عن قبرص(mfa.gov.cy).
- صحيفة الإستقلال، القوة الناعمة التركية: المفهوم ومؤشرات الصعود، تاريخ النشر: آب 2020، آخر زيارة: 22 آب 2022، (https://www.alestiklal.net/ar/article/dep-news-1587827879).
- مكرم، رانيا، نزاع مفتوح: لماذا تتجدد الإشتباكات بين أرمينيا وأذربيجان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، آخر تحديث: 15 أيول 2022، آخر زيارة: 1 أيلول 2024، (https://acpss.ahram.org.eg/News/17608.aspx).

ثانياً: المراجع باللغة الإنكليزية:

1. الكتب:

- Aslı Kelkitli, Fatma, Turkish–Russian relations: Competition and Cooporation in Eurasia, Routledge, New York, 2017.
- Aydin, Mustafa, Turkish Greek relations: the security Dilemma in the Agean, Routledge, London, 2015.
- Azak, Umut, Islam and Secularism in Turkey Kemalism, Religion and The Nation State, I.B. Tauris & Co, London, 2010.
- B., R. Huijbregts, George, and Tiggelaar, M., and Vandersmissen, L., and Vanhengel, S., and Zaki, B., Strategic Planning: The Way Forward, Palgrave Macmillan, NewYork, 2022.
- Cooley, Alexander, Great Games, Local Rules the New Great Power Contest in Central Asia, Oxford University Press, New York, 2012.
- Dodds, Klaus, Geopolitics: A Very Short Introduction,Oxford University Press, UK, no date.
- Gözen Ercan, Pınar, Turkish foreign policy: International Relations; Legality and Global reach, Palgrave Macmillan, Ankara, 2017.
- Gullettea, David and Heathershaw, John, The Affective Politics of Sovereignty: Reflecting on the 2010 Conflict in Kyrgyzstan, University of Central Asia and University of Exeter, No Place, 2010.
- Halliday, Fred, The Middle East in International Rekations, Cambridge University Press, New York, 2005.

- Heller, Joseph, The United States, the Soviet Union and the Arab–Israeli conflict, 1948–67, Manchester University Press, Manchester, 2016.
- Hinnebusch, Raymond, The International Politics of the Middle East, Manchester University Press, 2003.
- Hiro, Dilip, Inside Central Asia: A Political and Cultural History, Overlook Duckworth, New York, 2009.
- Johnson, Lena, Tajikistan in the New Central Asia Geopolitics, LB. Tauris & Co, New York, 2006.
- Kjellén, Rudolf, The State as a Lifeform, Swedish ed., 1916.
- N. Kalyvas, Stathis, Modern Greece: What Everyone Needs to Know, Oxford University Press, London, 2015.
- Najman, Boris; Pomfret, Richard; and Raballand, Gaël, The Economics and Politics of Oil in The Caspian Basin, Routledge, New York, 2008.
- Nourzhanov, Kirill and Bleuer, Christian, Tajikistan: A Political and Social History, ANU E Press, Canberra-Australia, 2013.
- Rashid, Ahmed, Taliban: Islam, Oil, and the New Great Game in Central Asia, L'B Tauris & Co, New York, 2001.
- Rashid, Ahmed, The Resurgence of Central Asia: Islam or Nationalism, Oxford University Press, Oxfordshire, 1994.
- Romano, Eas David and Gurses, Mehmet, Conflict, Democratization, and the Kurds in the Middle, Palgrave Macmillan, New York, 2014.
- T. Renne, George, Human Geography in The Air Age, The Macmillan Company, New York, 1942.

- Vandewalle, Dirk, A History of Modern Libya, Cambridge University Press, New York, 2nd ed, 2012.
- Yilamu, Wumaier, Neoliberalism and Post-Soviet Transition Kazakhstan and Uzbekistan, Palgrave Macmillan, London, 2018.

2. المقالات والدراسات:

- Denizeau, Aurélien, Mavi Vatan, the Blue Homeland: The Origins; Influences and Limits of an Ambitious Doctrine for Turkey, Études de l'Ifri, Paris, 2021.

3. التقارير:

- ADI Analytics, Regional spotlight: Oil & Gas in Central Asia, Last Visit: 14 July 2024, (Regional spotlight: Oil & Gas in Central Asia – ADI Analytics (adi-analytics.com).
- Allworth, Edward and Sinor, Densi, "History of Kyrgyzstan", Britannica, Last Update: 16 July 2024, Last Visit: 28 July 2024, (Kyrgyzstan – Soviet Union, Central Asia, Nomadic | Britannica).
- Bakir, Ali, Turkey's defense industry is on the rise: The GCC is One of its Top Buyers, Atlantic Coucil, Last Update: 4 August 2023, Last Visit: 31 August 2024, (https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/turkey-defense-baykar-gcc-gulf/).

- Donnellon-May, Genevieve, Turkey's Growing Influence in Central Asia, The Diplomat, Last Update: 13 October 2022, Last Visit: 25 August 2024, (https://thediplomat.com/2022/10/turkeys-growing-influence-in-central-asia/).
- Farnsworth, Malcolm, The Scandal That Brought Down Richard Nixon, Watergate.info, Last Update: 26 August 2012, Last Visit: 25 August 2024, (https://watergate.info/)
- First World War, The 3rd Battle Of Gaza, Last Update: August 22, 2009, Last Visit: July 27, 2024, (First World War.com – Battles – The Third Battle of Gaza, 1917)
- Global Security, Al Tanf Garrison, Last Update: 2 August 2018, Last Visit: 27 July 2024, (US Bases in Syria (globalsecurity.org)).
- Knights, Micheal, Turkey's War in Northern Iraq: By the Numbers, The Washington Institute for Foreign Policy, Last Update: 28 July 2022, Last Visit: 8 August 2024, (Turkey's War in Northern Iraq: By the Numbers | The Washington Institute).
- Macias, Amanda, U.S. sanctions Turkey over purchase of Russian S-400 missile system, Last update: 15 December 2020, Last Visit: 25 August 2024, (https://www.cnbc.com/2020/12/14/us-sanctions-turkey-over-russian-s400.html).
- Statista, Number of active military personnel in NATO countries in 2024, Last Update: 3 July 2024, Last Visit: 8 August 2024, (Number of active military personnel in NATO countries 2024 | Statista).
- The National Army Museum, Second Battle of El Alamein, Last Visit: July 27 2024, (Second Battle of El Alamein | National Army Museum (nam.ac.uk)).

- Turkish military holds large-scale naval exercise in east Med, Hürriyet Daily News, Last Update: 12 May 2024, last Visit: 13 August 2024, (https://www.hurriyetdailynews.com/turkish-military-holds-large-scale-naval-exercise-in-eastern-med-193446).
- Turkish Navy launches UAV and helicopter carrier TCG Anadolu, Euro news, Last uUpdate: 11 April 2023, Last Visit: 13 August 2024, (https://www.euronews.com/2023/04/11/turkish-navy-launches-uav-and-helicopter-carrier-tcg-anadolu).
- World Directory of Modern Militray Warship, Global Naval Powers Ranking (2024), Last Update: 2024, Last Visit: 1 September 2024, (https://www.wdmmw.org/ranking.php).

4. المواقع الإلكترونية:

- World Atlas, (https://www.worldatlas.com/).
- Council on Foreign Relations, 2005, Last Visit: July 2024, (https://www.cfr.org/backgrounder/asia-us-military-bases-central-asia).
- The Official Website of The Organization of Turkish States, Last Update: 2024, Last Visit: 25 August 2024, (https://www.turkicstates.org/en/isbirligi-alanlari#2-economic-cooperation).

الفهرس

الإهداء .....ت

شكر وتقدير .....ث

الملخّص:.....ج

Abstrait:.....ح

Abstract: .....خ

دليل المصطلحات الملخّصة ..... د

ملخص تصميم الرسالة ..... ذ

المقدّمة.....1

الفصل الأول: ماهية الجيوبوليتيك وإسقاطاته في آسيا الوسطى وشرق المتوسط.....9

المبحث الأول: ماهية الجيوبوليتيك وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي..... 9

المطلب الأول: نظريات الجيوبوليتيك وعلاقته بالجغرافيا السياسية.....10

المطلب الثاني: عناصر قوّة الدولة وأسس التخطيط الجيوبوليتيكي.....20

المبحث الثاني: الأهمية الجيوبوليتيكية لآسيا الوسطى وشرق المتوسط.....31

المطلب الأول: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي لآسيا الوسطى.....31

المطلب الثاني: تحليل الواقع الجيوبوليتيكي في شرق المتوسط.....42

الفصل الثاني: الممارسات الجيوبوليتيكة التركية في آسيا الوسطى وشرق المتوسط في إطار التفاعلات الدولية 57

المبحث الأول: الدور الإقليمي التركي في سياقه التاريخي والمعاصر.....58

المطلب الأول: تبلور الجيوبوليتيك التركي وتطبيقاته الإقليمية 59
المطلب الثاني: محددات التحركات التركية تجاه شرق المتوسط ووسط آسيا.....68
المبحث الثاني: الدور الإقليمي التركي وانعكاساته على العلاقات الدولية 79
المطلب الأول: السياق التاريخي لبروز تركيا كدولة إقليمية.....79
المطلب الثاني: أبرز المواقف الدولية تجاه الدور الإقليمي التركي.....88
الخاتمة **96**
لائحة المراجع **103**
الفهرس **111**